روائع القصص النبوي

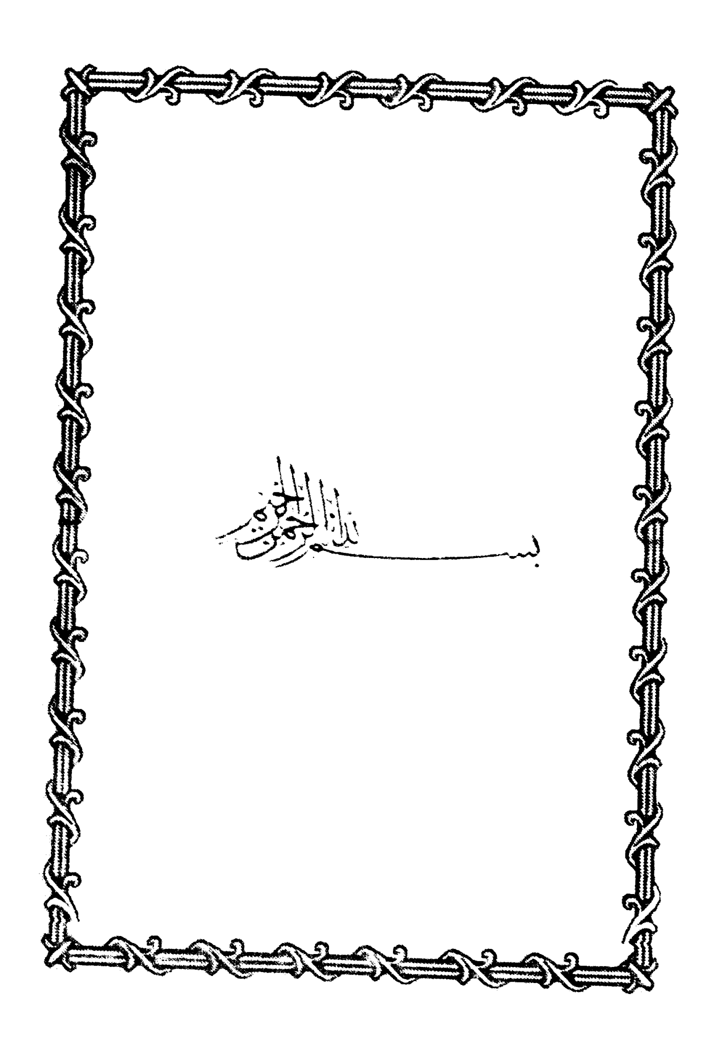
دروس وعبر

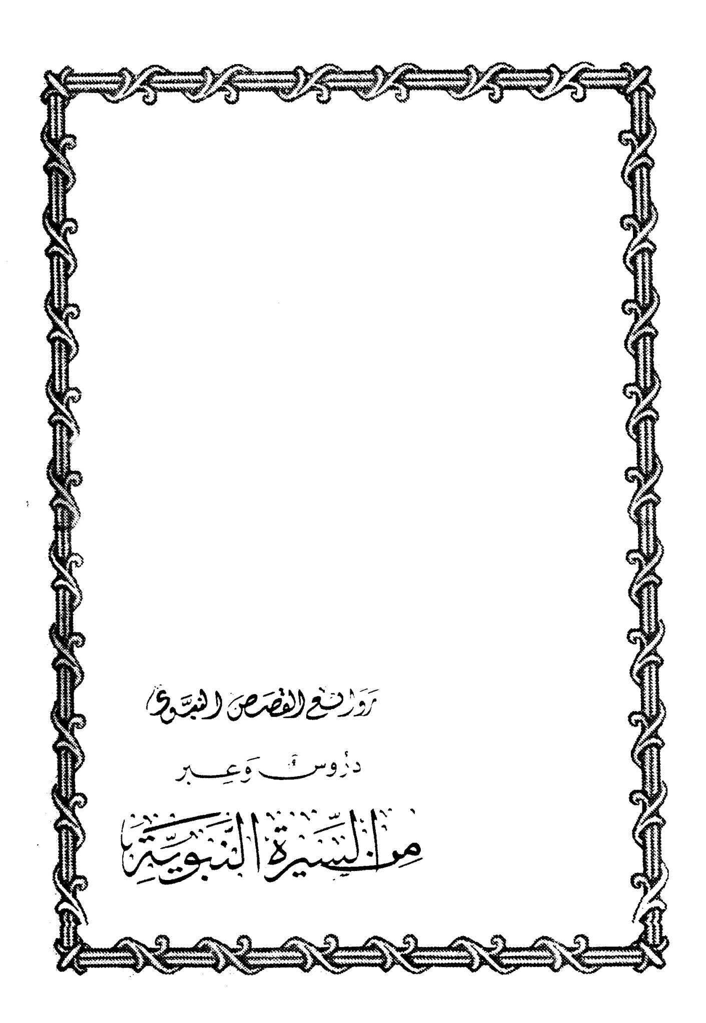
من السيرة النبوية

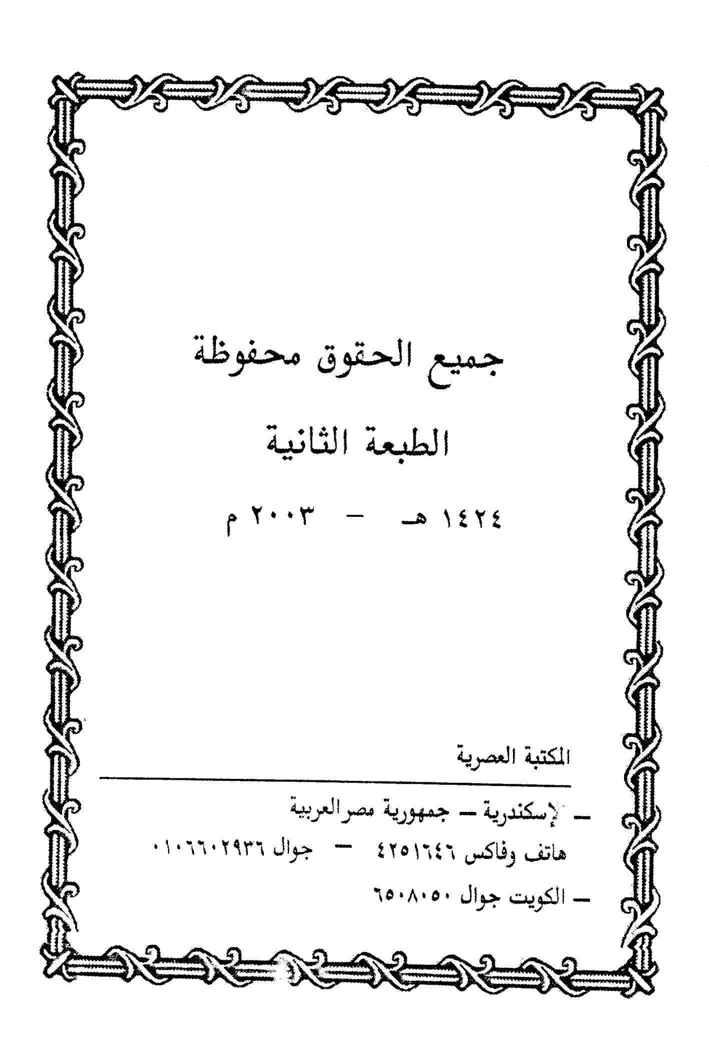
إعداد وتعليق

خالد بن جمعة الخراز   عدنان عبد القادر

المكتبة العصرية


بسم الله الرحمن الرحيم


روائع القصص النبوي
دروس وعبر
من السيرة النبوية



الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

المكتبة العصرية

- الإسكندرية - جمهورية مصر العربية
هاتف وفاكس ٤٢٥١٦٤٦ - جوال ٠١٠٦٦٠٢٩٣٦
- الكويت جوال ٦٥٠٨٠٥٠

المقدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُهُ ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار [(١)].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه؛ انظر رسالة خطبة الحاجة لشيخنا العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ طبع المكتب الإسلامي.

أما بعد:

فهذا كتاب لطيف نافع ـ إن شاء الله ـ يحمل بين دفتيه من روائع [1] القصص الصحيح، انتقيناها من جملة قصص كثيرة؛ كانت تعرض لنا ونحن نقوم بتهذيب، وتخريج كتاب البداية والنهاية (قسم السيرة النبوية) للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد بذلنا فيه جهدنا في إعطاء القارئ صورة نقية لتنمية الإيمان، وتزكية الخُلُق، فكتبنا كما يكتب جندي عن قائده، أو تابع عن متبوعه، أو تلميذ عن أستاذه، فارتأينا أن إفرادها ـ بعد تخريجها، وذكر الفوائد والعبر منها ـ فيه من المحامد والفوائد الشيء الكثير، لا سيما وأن تحلية المجالس، والدروس، والخطب بذكر القصص النبوي يحتاجه كل باحث، ومدرس، وخطيب، وقاص، وغيرهم.

وإفراد هذه القصص بمكان واحد يجعلها في متناول اليد، بشكل ميسور، إلى جانب ذكر درجة الحديث عند أهل العلم، ثم تخريج موجز، وتوضيح للكلمات الغريبة، وشيء من الفوائد والعبر.

فكم للقصة من أثر بالغ في نفس القارئ والسامع، تهفو له النفوس، وتطمئن له القلوب، وتسمو به الأرواح، لاسيما وأن القصص النبوي هداية للمهتدين، ومادة عظيمة للخطباء والوعاظ، ونموذج تربوي سامٍ للمعلمين.

---

(١) والرائعة مؤنث الرائع وما جاوز الحد في نواحي الفن والأخلاق والفِكْر. يقال: هذه القصيدة أو هذه القصة من روائع فلان. المعجم الوسيط (١/ ٣٨٢).

فخذها أيها القارئ بقوة، وشاركنا في أخذ العبرة منها، ولا تنس أن تُطيِّب بها المجالس، أو تشجي بها الأسماع، فإن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان؛ وتحتاج إلى أُنسٍ، وهذه القصص أُنسها.

فدونك أيها القارئ هذا الكتاب؛ جمعنا فيه من القصص النبوي الجليلة ما أمكن، وهي اختيارات متتابعة من (البداية والنهاية) بلفظها ونصها، وقد تكون أحيانًا غير مطابقة للأصول حرفيًا، إذ أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - قد اعتمد على أُصول ليست كما هي عليه اليوم، ولذلك اقتضى التنبيه.

أمّا نحن، فتارةً نزيد على ما ورد في البداية والنهاية، فنورد النص من مصدره الأصلي إذا دعت الحاجة للشمول، لأن الحافظ أحيانًا يورد النص مختصرًا.

ومما ينبغي التنبيه له أيضًا أننا جعلنا لكل قصة عنوانًا، ثم أتبعناها تخريجا وبيانا، وبعدها شذرات من الفوائد والعبر.

وقد تضمنت هذه القصص دلائل نبوية، ومواقف بطولية وأخرى إيمانية تطيب بها النفوس وتأنس بها القلوب .

وسميناها [من روائع القصص في السيرة النبوية دروس وعبر].

منهجنا في إخراج الرواية:

أولاً : ذكر ما صح من الروايات.

ثانيًا : الروايات التي فيها خلاف، ولكن توافرت فيها عدة شروط.

أ - لا تُبْنى عليها أحكام.

ب ـ لها عدة طرق، ولو كانت مراسيل.

ج ـ ثم توفرت فيها زيادة على ماسبق أحد الأمور التالية:

١ـ لها أصل صحيح كقصة الصحيفة الظالمة رقم (١٠).

٢ـ ليست مرفوعة إلى النبي ﷺ كإسلام حمزة رضي الله عنه.

٣ـ في السند رجل روى عنه خمسة، ووثقه ابن حبان، وذكره البخاري في تاريخه الكبير، وابن أبي حاتم دون جرح أو تعديل كقراءة النبي أول سورة فصلت على عتبة بن ربيعة رقم (٨)، ولها طريق مرسل، وآخر متصل، فإن العلماء يحسنون مثل تلك الروايات؛ إن لم يصححوها.

ثالثًا: رواية الرجل الثقة أو الصدوق عن أبيه عن جده، فإن كان أبوه مقبولا، فإنها تحسن إن كانت هناك قرائن، إذ يتساهل في روايات السيرة الوعظية، أو في الترغيب والترهيب لأنه أحفظ لرواية آبائه من غيره، ويمثل له برواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده، إذ عمرو بن علقمه وثقه ابن حبان وصحح حديثه الترمذي وابن خزيمة والحاكم، ولم يرو عنه إلا ابنه (محمد) وهو حسن الحديث، لذلك حسن العلماء حديثه كالحافظ ابن كثير وابن حجر والهيثمي والألباني، وأقر الذهبي الحاكم في تصحيحه لحديثه.

وروى عن أبيه علقمة وهو تابعي ثقة كما سيأتي في قصة (حكم سعد في بني قريظة) رقم (٣٠).

رابعًا: إذا توصلنا ببحثنا المتواضع عن طريق جمع الطرق، والبحث فيها إلى صحة الرواية، أو حسنها، فإننا نعزو تصحيحها إلى أحد العلماء السابقين إن وجد، وإلا فالمعاصرين، وحسبنا ذلك، وإن لم نعثر على تصحيحهم، فإننا

نذكر درجته قدر الوسع والطاقة، والله الموفق والهادي إلى الصواب.

نسأل الله أن يبارك في عملنا هذا، وأن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا ما زل به القلم، أو تاه عنه الفكر، أو زاغ عنه البصر، سائلين المولى جلّ علاه أن يكون لها أثر في حياة الأمة والأفراد وأن يجعل ثوابها في صحائف أعمالنا، وأن يتجاوز عن تقصيرنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الكويت ـ الفيحاء

الخميس ٥ رمضان ١٤١٦هـ

١ - إسلام زيد بن سَعْيَة رضي الله عنه

* عن عبدالله بن سلام: أن الله لما أراد هُدَى زيد بن سَعْيَة قال زيد: لم يَبْقَ شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ، حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يَسبْق حلمُه جهلَه، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلما.

قال: فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فذكر قصة إسلافه للنبي ﷺ مالا في ثمره. قال: فلما حلَّ الأجل أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه وهو في جنازة مع أصحابه، ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لَمُطُل.

قال: فنظر إليّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومَه لضربت بسيفي رأسك.

ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتَؤدَة وتبسم، ثم قال: "أنا وهو كنا أحوجَ إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التِّباعة، اذهب به يا عمرُ فاقضه حقه، وزد عشرين صاعا من تمر".

فأسلم زيد بن سَعْيَة رضي الله عنه، وشهد بقية المشاهد مع رسول الله ﷺ.

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه ابن حبان، والحاكم، وقال الحافظ المزي: هذا حديث حسن مشهور.

تخريج الحديث:

أخرجه أبوالشيخ في أخلاق النبي ﷺ (ص ٧٢-٧٤) وأبو نعيم في الدلائل (٤٨) وابن حبان (٢١٠٥ الموارد) والطبراني في الكبير (٥/ ٢٢٢، ٢٢٣) وفي الأحاديث الطوال (٦) والحاكم (٣/ ٦٠٤، ٦٠٥) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٧٨ - ٢٨٠) من طريق محمد بن المتوكل بن أبي السري ثنا الوليد بن مسلم ثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده (فذكره).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٠): "رجال الطبراني ثقات"

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث، ومحمد بن أبي السرى العسقلاني ثقة".

وتعقبه الذهبي بقوله: ما أنكره وأركَّهُ!

قال الحافظ المزي في ترجمة حمزة بن يوسف: هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٥٤٨): "ورجال الإسناد موثقون، وقد صرح الوليد بن مسلم فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد، وثقه ابن معين وليَّنه أبوحاتم".

قلت: بل تابعه عبدالوهاب بن نجدة إذ أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ وآدابه (ص ٧٢ - ٧٤) من طريق ابن أبي عاصم نا الحوطي نا الوليد به.

والحوطي هو عبدالوهاب بن نجدة وهو ثقة.

وأخرجه مختصرا ابن ماجه (٢٢٨١) من طريق يعقوب بن حميد ثنا الوليد بن مسلم عن محمد ابن حمزة به.

قال البوصيري: فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس.

قلت: لكنه صرح بالتحديث كما تقدم فانتفت شبهة التدليس، وأما حمزة بن يوسف فتوثيق الهيثمي له وتصحيح ابن حبان والحاكم، وتحسين الحافظ المزي لحديثه، وكونه تابعيًا، وروايته عن أبيه الصحابي ورواية ابنه عنه مبررًا لتحسين حديثه لما سبق ذكره في المقدمة فراجعها والله أعلم.

غريب القصة:

ـ زيد بن سعية: قال ابن عبدالبر في الاستيعاب (١/٥٤٣): "ويقال سعية بالياء، والنون أكثر في هذا، كان من أحبار يهود، أسلم وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة..".

ـ مطل: أي أهل تأخير وتسويف في وفاء الدين!، وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَطْلُ الغَنِّي ظلم، فإذا أُتبعَ أحدكم على مليء فليتَّبعْ". رواه البخاري ومسلم.

ـ التِّباعة: ما يترتب عليها من أثر.

ـ صاعا: الصَّاع مكيال يكال به الحبوب وغيرها، وقيل إناء يشرب به وهو أربعة أمداد، والمدُّ كيل يساوي ربع الصاع؛ قال الفيروزآبادي: "قيل: المدُّ هو ملء كفي الإنسان المتوسط إذا ملأهما ومد يده بهما، وبه سمي مُدًّا".

الفوائد والعبر:

١ـ على الداعية أن يملك نفسه عند الإساءة إليه ويصبر ولا يعجل.

٢ـ الغضب آفة مدمرة في طريق الدعوة.

٣ـ الحلم خصلة من خصال العقل، قال أبو حاتم البستي في روضة العقلاء (٢٠٨): "الحليم عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأمر، مرضي الفعل، والحليم: اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما

تحب إلى ما نهى عنه، فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ولم يُقرَن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة، والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام".

٤ـ من صفات القائد الناجح مشاركة أصحابه في السراء والضراء.

٥ـ على الداعية أن يلين الجانب مع أصحابه، ويبتسم في وجوههم عند التوجيه.

٦ـ استحباب حسن أداء الدين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إنَّ خياركم أحسنكم قَضاء" رواه البخاري.

٧ـ وكالة الشاهد جائزة في قضاء الدين.

٨ـ جواز المطالبة بالدين إذا حل أجله.

٩ـ حسن خلق النبي ﷺ وعظيم حلمه وتواضعه وانصافه.

١٠ـ إن من أساء الأدب على الإمام كان عليه التعزير بما يقتضيه الحال إلا أن يعفو صاحب الحق.

١١ـ إن من عليه دين لا ينبغي له مجافاة صاحب الحق.

١٢ـ جواز وفاء ما هو أفضل من المثل المُقْترَض إذا لم يقع شرطية ذلك في العقد فيحرم حينئذ اتفاقا وبه قال الجمهور. (٨-١٢ من فوائد الفتح ٥/٥٧).

١٣ـ حب النبي ﷺ في قلوب الصحابة.

٢- إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه

* عن عبدالله بن عباس، قال: حدثني سلمانُ الفارسي ـ منْ فيه ـ قال: كُنتُ رجلاً فارسيا من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها جَيْ، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحبَّ خلق الله إليه، فلم يزل حُبُّهُ إياي حتى حَبَسَني في بيته كما تُحبسُ الجاريةُ.

واجتهدت في المجوسية، حتى كنت قطَنَ النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يومًا فقال لي: يا بُني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد. ثم قال لي: ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجتُ أريدُ ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خيرٌ من الدين الذي نحن عليه.

فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها.

ثم قلت لهم: أين أصلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كله، فلما جئت قال:

أي بني أين كنت؟ ألم أكن أعهد إليك ما عهدته؟ قال: قلت يا أبت مررت بأناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خيرٌ منه.

قال: قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته.

قال: وبَعَثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام فجاءني النصارى فأخبروني بهم. فقلت: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علمًا؟ قالوا الأسقف في الكنيسة.

قال فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك فأصلي معك. قال: ادخل.

فدخلت معه، فكان رجل سَوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئا كنزه لنفسه ولم يُعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق.

قال: وأبغضته بغضًا شديدا لما رأيته يصنع.

ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمُرُكُم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتُمُوه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئًا.

قـال: فقـالوا لي: وما علمُكَ بذلك؟ قـال: فقلـت لهم أنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدُلَّنا. قال: فأريتـهم موضعه، فاستخرجـوا سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا، فلما رأوها قالوا: لا ندفنه أبدًا. قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة.

وجاءوا برجُلٍ آخر فـوضعوه مكانه. قال سلمان: فـما رأيت رجلاً لا يُصلي الخمس أرى أنه أفـضل منه، وأزهد في الدنيـا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهارًا.

قال: فأحببته حباً لم أحبَّ شيئًا قبله مثله.

قال: فـأقمت معـه زمانًا، ثم حضـرته الوفاة، فقلت له: إني قـد كنتُ معكَ، وأحببتك حبّـا لم أحبه شيئا قبلك، وقد حضـرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بُني والله مـا أعلم اليوم أحدًا على ما كنتُ عليه، لقـد هلك الناسُ وبدلوا وتركوا أكثـر ما كانوا عليـه، إلا رجُلاً بالموصل، وهو فلانٌ، وهو على ما كنت عليه فالحق به.

قال: فلمـا مات وغُـيِّب لحقت بصـاحب الموصل. فقلت: يا فـلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. فقال لي: أقِمْ عندي.

فأقمت عنده فوجـدته خيرَ رجلٍ على أمر صاحبـه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الـوفاة قلت له: يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك وأمـرني باللحوق بك، وقـد حـضـرك مـن أمـر الله ما ترى، فـإلى من توصي بي، وبم تأمرنـي؟ قال: يا بني والله ما أعلـم رجلاً على مثل مـا كُنَّا عليه، إلا رجـلاً بنصيـبين، وهو فلانٌ، فالحقْ به.

فلما مـات وغيِّب لحـقت بصاحب نَصيبين، فأخـبرته خـبري ومـا أمرني به صاحباي، فقـال: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحـبيه، فأقمت

مع خيـر رجل، فوالله ما لبث أن نزل به المـوت، فلما حضـر قلت له: يا فلان إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي وبـم تأمرني؟

قـال: يا بني والله مـا أعلمـه بقـي أحـدٌ على أمـرنا آمـرك أن تأتيـه، إلا رجل بعَمُّـوريَّة من أرض الروم، فإنه على مثل مـا نحن عليه. فإن أحببت فائتـه، فإنه على أمرنا.

فلمـا مات وغـيِّب لحقت بصـاحب عمُّوريَّة، فأخبرته خبري، فقـال: أقم عندي. فأقـمت عند خيـر رجل على هدْي أصحـابه وأمرهم. قـال: واكتـسبت حتى كانت لي بقرات وغُنَيمة.

قـال: ثم نزل به أمـر الله، فلمـا حـضـر قلت له: يا فـلان إني كنت مع فـلان فـأوصى بي إلى فـلان، ثم أوصى بي فـلان إلى فـلان، ثم أوصى بي فـلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى منَ توصي بي وبم تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم أصبح أحدٌ على مـثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قـد أظلَّ زمانُ نبي مبعوث بدين إبراهيـم يخرج بأرض العرب، مُهَـاجره إلى أرض بين حرَّتين بينهمـا نخل، به علامات لا تَخْـفى: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقـة، بين كتفيـه خاتم النبوة، فإن اسـتطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيِّب، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث.

ثم مـر بي نـفـرٌ من كَلْب تجـار، فـقلت لهم احـملونـي إلى أرض العـرب وأعطيكم بقـراتي هذه وغنيـمتي هذه. قـالوا: نعم. فـأعطيتـهـموها وحـملوني معـهم، حتى إذا بلغوا وادي القُــرَى ظلموني فبـاعوني من رجل يهودي عـبدًا،

فكنت عنده، ورأيت النخلَ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحقَّ في نفسي.

فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قُرَيظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها.

وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شُغْل الرِّق؛ ثم هاجر إلى المدينة.

فوالله إني لفي رأس عِذْق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان قاتل الله بني قَيْلة. والله إنهم لمجتمعون الآن بقبَاء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني الرعدةُ حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول؟ ماذا تقول؟.

قال: فغضب سيدي فلكمني لكمةً شديدة. ثم قال مالك ولهذا؟ أقبل على عملك.

قال: فقلت لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال.

قال: وقد كان عندي شيء قد جمعتُه، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم.

قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: « كلوا » وأمسكَ يده فلم يأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي هاتان ثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببَقيع الغَرْقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرتُه عرف أني أستَثْبت في شيء وُصف لي، فألقَى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبَبْت عليه أقبِّله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوَّل» فتحولت بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس.

فأعجبَ رسول الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه.

ثم شَغَل سلمان الرقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ «كاتِبْ يا سلمان» فكاتَبْت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ، لأصحابه: «أعينوا أخاكم» فأعانوني في النخل: الرجل بثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين وَدِيَّة، والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشرة، يعين الرجل بقَدْر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدِيَّة. فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان ففقِّر لها، فإذا فرغت فائتني أكن أنا أضعها بيدي».

قال: فَفَقَّرت، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته. فخرج

رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نـقرب إليه الوديّ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، حتى إذا فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها وَدِيَّة واحدة.

فأدّيتُ النخلَ وبـقى عليَّ المال. فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بـيضة الدجـاجة من ذهب من بعض المعـادن. فقال: « مـا فعل الفـارسيُّ المكاتَب؟» قال: فـدعيتُ له قال: «خذ هذه فأدِّها مما عليك يا سلمان».

قال: قلت: وأين تقع هذه مما عليَّ يا رسول الله؟ قال: «خذها فإن الله سيؤدِّي بها عنك» قـال: فأخـذتها فوزنتُ لهـم منها، والذي نفسُ سلمـان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم.

وعَـتَق سلمان، فـشهـدتُ مع رسول الله ﷺ الخـندق حُرًا ثم لم يَفُتني معـه مَشْهَدٌ.

وقد روى البيـهقي في كتاب دلائل النبوة قـصة سلمان هذه من طريق يونس ابن بكير، عن محمد بن إسحـاق كما تقدم ورواها أيضًا عن الحاكم عن الأصم ابن يحيى بن أبي طالب.

وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسنادًا وأحسن اقتصاصًا وأقرب إلى ما رواه البخـاري في صحيـحه من حديث معـتمر بن سليـمان بن طرخان التـيمي، عن أبيه، عن أبي عثـمان النهدي، عن سلمان الفارسي، أنه تداوله بضـعة عشر، من رب إلى رب، أي من معلِّم إلى معلم ومربٍ إلى مثله. والله أعلم.

درجة الحديث عند أهل العلم:

قواه الذهبي وابن حجر.

تخريج الحديث:

- أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٢١٤) فقال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن عبدالله بن عباس به.

ومن طريقه أخرجه أحمد (٥/ ٤٤١) وابن سعد في الطبقات (٤/ ٧٥) والطبراني في الكبير (٦/ ٢٢٢) وأبو نعيم في الدلائل (١٩٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٢٢) والدلائل (٢/ ٩٢) والخطيب في تاريخه (١/ ١٦٥) وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٤١٧) وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (٢٢).

- ومن طرق أخرى أخرجه كل من الطحاوي في شرح معاني الآثار مختصرا (٢/ ٨) وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٤١٧) جميعهم عن ابن اسحاق به.

قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٣٦): "وإسناد الرواية عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح غير محمد بن اسحاق، وقد صرح بالسماع".

- ورواه ابن قرة الكندي عن سلمان الفارسي إذ صححه ابن حبان (٢٢٥٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي عن ابن قرة الكندي عن سلمان الفارسي.

قال الذهبي في السيرة عن هذا الطريق: (أصح).

وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة: (٢/ ٦٢) أصحها هذا الطريق.

غريب القصة:

- **جيّ** : مدينة في أصبهان (معجم البلدان ٢/ ٢٠٢).
- **دهقان** : شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح الأرض.
- **قطن النار** : هو خادمها الذي يخدمها ويمنعها من أن تنطفئ.
- **تخبو** : أي تطفأ.
- **الأسقف**: عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم، ويقال أُسقف بالتخفيف أيضا
- **قلال**: القلال جمع قلة وهي الجرة العظيمة (النهاية ٤/ ١٠٤).
- **ورق**: أي فضة.
- **الموصل**: مدينة في العراق.
- **عمورية**: هي بلد من الروم فتحها المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومئتين (معجم البلدان ٥/ ١٥٨).
- **نصيبين**: مدينة عـامرة من بلاد الجـزيرة على جادة القـوافل من الموصل إلى الشام (معجم البلدان ٥/ ٨٨).
- **حرتين**: كل أرض ذات حجارة سود.
- **وادي القرى**: هو واد بين المدينة والشام (معجم البلدان ٥/ ٣٤٥).
- **رأس عذق**: نخلة.
- **بنو قيلة**: الأوس والخزرج.
- **بقيع الغرقد**: مقبرة أهل المدينة.
- **شملتان**: مثنى شملة، والشملة الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان أي يلتحف به.
- **ودية**: النخلة الصغيرة.

الفوائد والعبر:

١ـ ثمرة طاعة الوالدين تجلب الحب.

٢ـ الحبس والعراقيل والقيود من أساليب المجرمين في الصد عن سبيل الله.

٣ـ في سبيل الإيمان تهون الدنيا وما حوت.

٤ـ الإيمان أقوى من كل المؤثرات.

٥ـ المؤمن مستعد لكل الاحتمالات.

٦ـ أهل الفساد أحيانًا يرتدون ثياب الصلاح.

٧ـ طريق العلم لا ينال إلا بملازمة أهله.

٨ـ من يتق الله يجعل له مخرجا، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

٩ـ ميزان الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

١٠ـ الإصغاء للمتحدث والاستماع له أدب رفيع من أخلاق النبوة.

١١ـ تفقد القائد لأصحابه.

١٢ـ شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه (قاله البخاري).

١٣ـ التعاون من صور التكافل والتضامن الاجتماعي.

٣- إسلام حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه

* عن محمد بن كعب القرظي قال: كان إسلام حمزة رضي الله عنه حمية، وكان يخرج من الحرم فيصطاد، فإذا رجع مر بمجلس قريش، وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة فيمر بهم فيقول: رميت كذا وكذا، وصنعت كذا وكذا، ثم ينطلق إلى منزله فأقبل من رميه ذات يوم، فلقيته امرأة فقالت: يا أبا عمارة ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام شتمه وتناوله وفعل وفعل فقال: هل رآه أحد؟ قالت: أي والله لقد رآه ناس، فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة فإذا هم جلوس وأبوجهل فيهم فاتكأ على قوسه وقال: رميت كذا وكذا وفعلت كذا وكذا، ثم جمع يديه بالقوس فضرب بها بين أذني أبي جهل فدق سنتها ثم قال: خذها بالقوس وأخرى بالسيف أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله قالوا: يا أبا عمارة إنه سب آلهتنا وإن كنت أنت وأنت أفضل منه ما أقررناك وذاك وما كنت يا أبا عمارة فاحشًا.

* قال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق: حدثني رجل من أسْلَم - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فذكر ذلك لحمزة بن عبدالمطلب، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجة منكرة.

وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه. وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت.

قال حمزة: ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنّ الذي يقول حق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين.

فقال أبوجهل: دعو أبا عُمَارة فإني والله لقد سببْت ابنَ أخيه سبًا قبيحًا.

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، فكفُّوا عما كانوا يتناولون منه. وقال حمزة في ذلك شعراً.

قال ابن إسحاق: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك لَلْموت خير لك مما صنعت.

فأقبل حمزة على نفسه وقال: ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مَخْرجا.

فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان.

حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ. فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المَخْرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديدٌ فحدِّثني حديثا، فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني.

فأقبل رسول الله ﷺ فذكَّره ووعظه، وخوَّفه وبشَّره فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ.

فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول.

فكان حمزة ممن أعز الله به الدين.

غريب القصة:

- **شجه**: شق جلد رأسه أو وجهه، ويقال شجَّ رأسه، وشَّجهُ في رأسه أو وجهه.
- **صبأت**: أي أسلمت.
- **الصابئ**: بالياء اللينة، وكانوا يسمون من أسلم صابيا لأنه صبا يصبو إذا انتقل من شيء إلى شيء (فتح الباري ٧/ ١٧٥، ١٧٦).

تخريج الحديث:

- ذكره ابن إسحاق وفيه إبهام وإرسال.
- ونحوه أخرجه الطبراني في الكبير من طريق محمد بن كعب القرظي مرسلا.

وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٧): "رواه الطبراني مرسلا، ورجاله رجال الصحيح"

وللرواية المذكورة شواهد منها:

١ـ ما أخرجه الطبراني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق مرسلا قال الهيثمي في المجمع: (٩/ ٢٦٧) رجاله ثقات.

٢ـ ما ذكره الذهبي في السيرة النبوية ص ١٧٩ إذ قال: يروى عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

قلت: وبهذين الشاهدين ترتقي الرواية إلى الحسن إن شاء الله.

رواية محمد بن كعب القرظي ليست في سيرة ابن كثير وإنما أوردناها زيادة عن الأصل لما فيها من الفائدة.

الفوائد والعبر:

١ـ الصبر على الإيذاء في سبيل الدعوة إلى الله.

٢ـ للإيمان حلاوة ولذة لا يساويها شيء.

٣ـ الشيطان عدو للإنسان يحاول أن يغويه بكل سبيل.

٤ـ صاحب العقيدة ثابت وصاحب الرأي شاك وسريع التحول.

٥ـ الانتفاع بالعصبية القبلية لنصرة الدين.

٤- إسلام أبي ذر رضي الله عنه

* عن ابن عباس. قال لما بلغ أبا ذَر مبعثُ رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني.

فانطلق الآخر حتى قَدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر.

فقال. ما شفيْتني مما أردتْ.

فتزوَّد وحمل شنَّة له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجدَ فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعضُ الليل اضطجع فرآه عليَ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظلَّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسَى، فعاد إلى مضجعه. فمر به عليّ فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء.

حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد عليٌّ على مثل ذلك، فأقام معه فقال: ألا تحدثني بالذي أقْدَمك؟ قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقا لَتُرْشدنَّني فعلتُ. ففعل فأخبره. قال: فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ، فإذا أصبحتَ فاتبعني، فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي.

ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله

وأسلم مكانه.

فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري».

فقال: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم.

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه.

فأتى العباسُ فأكبَّ عليه فقال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غِفَار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه [1].

هذا لفظ البخاري.

* عن أبي ذر قال: خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يُحلون الشهر الحرام، أنا وأخي أنيس وأُمُّنا.

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنَا قومُه فقالوا له: إنكَ إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس.

فجاء خالنا فنَثَى ما قيل له فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدَّرْته، ولا جماع لنا فيما بعد.

قال: فقرَّبنا صِرْمَتَنا فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي.

قال: فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال فنافَر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخير أنيسا. فأتانا بصرمتنا ومثلها.

وقد صلَّيت ياَ ابْنَ أخي، قبل أن ألقَى رسول الله ﷺ ثلاث سنين.

قال: قلت لمن؟ قال: لله. قلت: فأين توجَّه؟ قال: حيث وجَّهني الله. قال:

وأصلِّي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفيتُ كأني خِفَاء حتى تعلوني الشمس.

قال: فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فألقني حتى آتيك. قال: فانطلق فراث عليَّ، ثم أتاني فقلت: ما حبسك قال: لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولون إنه شاعر وساحر. وكان أنيس شاعراً.

قال: فقال: لقد سمعتُ الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يَلْتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

قال: فقلت له: هل أنت كافيَّ حتى انطلق؟ قال: نعم! وكُن من أهل مكة على حذر، فإنهم قد شنَّعوا له وتجهموا له.

قال: فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفَّت رجلا منهم فقلت: أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إليَّ. فمال أهلُ الوادي عليَّ بكل مَدَرة وعظم حتى خررت مغشيًا عليّ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأني نَصَب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يابن أخي ثلاثين من يوم وليلة ما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكَن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع.

قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضْحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة، فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا عليّ وهما يدعوان إسافَ ونائلة. فقلت: أنكحوا أحدهما الآخر. فما تناهما ذلك. فقلت: وهنَّ مثلُ الخشبة غير أني لم أركن.

قال: فانطلقتا يُوَلْوِلان ويقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا.

قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبوبكر وهما هابطان من الجبل فقالا: مالكما؟ فقالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم.

قال: وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت، ثم صلى.

قال: فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام. فقال: «عليك السلام ورحمة الله. من أنت؟» قال: قلت: من غفَار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت في نفسي: كَره أن انتمَيْتُ إلى غفار.

قال: فأردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه، وكان أعلم به مني، قال: متى كنت ههنا؟ قال: قلت: كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم.

قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع.

قال: قال رسول الله ﷺ : « إنها مباركة، إنها طعامُ طُعْم».

قال: فقال أبوبكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة. قال: ففعل.

قال: فانطلق النبي ﷺ وانطلقت معهما، حتى فتح أبوبكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال: فكان ذلك أولَ طعام أكلتُه بها. فلبثت ما لبثت.

فقال رسول الله ﷺ : «إني قد وجِّهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مُبلغ عني قومَك، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم»؟

قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا، قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت صنعت أني أسلمت وصدَّقت.

قال: فما بي رَغْبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت.

ثم أتينا أمَّنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمُّهم خُفَاف بن أَيْمَاء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ. وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا. قال: فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم. قال: وجاءت أَسْلَم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه. فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالَمها الله»[2]. ورواه مسلم عن هُدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه. وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم.

غريب القصة:

- **الوادي**: وادي مكة.
- **شنة**: هي القربة البالية.
- **لأصرخن بها**: أي كلمة التوحيد أي جهاراً.
- **غِفار**: بكسر العين القبيلة المعروفة، وهم بنو غفار بن مليل.
- **فنَّى**: أي أشاعه وأفشاه.

تخريج الحديث:

(١) حديث ابن عباس رضي الله عنه.

أخرجه البخاري (٦/ ٥٤٩ - ٧/ ١٧٣ فتح) ومسلم (٢٤٧٤)

(٢) حديث أبو ذر رضي الله عنه

أخرجه أحمد (٥/ ١٧٤، ١٧٥) ومسلم (٢٤٧٣).

- **صرمتنا**: الصرمة هي القطعة من الإبل، وتطلق أيضا على القطعة من الغنم.
- **فنافر**: المنافرة المفاخرة.
- **عُكن بطني**: جمع عكنة، وهو الطيّ في البطن من السمن.
- **سخفة جوع**: أي رقة الجوع وضعفه وهزاله.
- **إضحيان**: أي مضيئة منورّة.
- **أشحمة**: وفي رواية عند مسلم (أسمختم) أي جمع سماخ وهو الخرق الذي في الأذن يفضي إلى الرأس وهي الآذان أي ناموا.
- **إساف ونائلة**: صنمان كانا بمكة نصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة (معجم البلدان ١/ ١٧٠).
- **يولولان**: الولولة الدعاء بالويل.

الفوائد والعبـر:

١ـ الحذر عند بداية الدعوة أمر مطلوب.

٢ـ قد يلاقي الإنسان العنت والعذاب بسبب ما يؤمن به فعليه بالصبر.

٣ـ قد يُهون الله على الإنسان المصاعب الجسـدية المتعلق بالجوع إذ أن ما ينشغل به روحه من إيمان ينسيه حاجات الجسد.

٤ـ بركة ماء زمزم.

٥ـ جـواز قول الحق عند من يـخشى منه الأذية لمن قـاله، وإن كـان السكوت جائزا، والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه (الفتح ٧/ ١٧٥).

٥- من أساليب المشركين في وأد الدعوة

* روى البخاري في التاريخ عن عقيل بن أبي طالب قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانْهَه عنا. فقال: يا عقيل انطلق فأتني بمحمد. فانطلقتُ فاستخرجته من كنس، أو قال خنس، يقول: بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر.

فلما آتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم.

فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء. فقال: «ترون هذه الشمس؟» قالوا نعم! قال: «فما أنا بأقدر أن أدَعَ ذلك عنكم على أن تشتعلوا منه بشعلة».

فقال أبوطالب: والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا.

قال ابن إسحاق: ثم قال أبوطالب في ذلك:

والله لن يَصِلُوا إليك بجمعهم	حتى أوسَّدَ في التراب دفينًا
فامضي لأمرك ما عليك غَضَاضةٌ	أبْشِرْ وقَرَّ بذاك منك عيونًا
وعدوتني وعلمتُ أنك ناصحي	فلقد صدقتَ وكنت قدْم أمينًا
وعرضتَ دينًا قد عرفتُ بأنه	من خير أديان البَرِيَّة دينا
لولا الملامةُ أو حَذَارِي سُبَّةً	لوجدتني سَمْحًا بذاك مُبينًا

وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمِّه مع خلافه إياه في دينه، وقد كان يَعْصمه حيث لا يكون عمه بما شاء، لا معقِّب لحكمه.

درجة الحديث عن أهل العلم:

صححه الحافظ ابن حجر، وحسنه الألباني.

الفوائد والعبـر:

١ـ إرادة الله اقتضت أن يعصم الله رسوله ﷺ بعمه رغم خلاف المعتقد.

٢ـ صبر الداعية على أذى قومه من مستلزمات الدعوة.

٣ـ ثبات الإيمان في قلب المؤمن لا يحركه شيء.

٤ـ دعوة النبي ﷺ ميدانية في كل مكان.

٥ـ موقف المشركين المشين من دعوة النبي ﷺ ، والتحريض والتأليب عليه.

تخريج الحديث:

قال شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله ـ في الصحيحة: (٩٢) "رواه أبوجعفر البختري في حديث أبي الفضل أحمد بن ملاعب (٤٧/ ١-٢) وابن عساكر (١١/ ٣٦٣/ ١، ١٩/ ٤٤/ ٢٠١)

من طريق أبي يعلى وغيره كلاهما عن يونس ثنا طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة حدثني عقيل بن أبي طالب (فذكره)

وقال: وهذا إسناد حسن رجاله كلهم رجال مسلم، وفي يونس بن بكير وطلحة بن يحيى كلام لا يضر" أهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي من طريق أحمد بن عبدالجبار عن يونس به.

وقال الهيثمي في المجمع: (٦/ ١٥) "رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأبو يعلى باختصار يسير ورجال أبي يعلى رجال الصحيح" أهـ.

وقال ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٤٢٧٨): "وهذا إسناد صحيح"، والله أعلم.

٦- إيذاء المشركين للرسول ﷺ

* عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون برسول الله.

قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا.

فأقبل أبوبكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربيَّ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم" (١) الآية. [غافر: ٢٨].

* عن عروة قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صَبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعاتنا، وسبَّ آلهتنا، وصبِرْنا منه على أمر عظيم. أو كما قالوا.

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٦٧٨، ٣٨٥٦، ٨/ ٤٨١٥ فتح) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧٤). من طريق يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم حدثني عروة بن الزبير قال سألت عبدالله بن عمرو به.

وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٤٤): "انفرد به البخاري وقد رواه في أماكن من صحيحه، وصرح في بعضها بعبدالله بن عمرو بن العاص، وهو أشبه لرواية عروة عنه لتقدم هذه القصة" اهـ.

قال: فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. فمضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه. فمضى، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها.

فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذَّبح».

فأخذت القوم كلمتُه، حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع، حتى إن أشدهم فيه وَصَاةً قبل ذلك ليَرْفَأه حتى إنه ليقول: انصرف أبا القاسم راشدًا فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله ﷺ.

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بَلَغ منكم وما بلغكم عنه. حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه!

فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟! لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم.

فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك».

ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبوبكر يبكي دونه ويقول: ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه.

فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط [1].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٧٥، ٢٧٦) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني يحيى بن عروة عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو.. وسنده حسن.

غريب القصة:

- **منكبه**: المَنْكِبُ هو مجتمع رأس العَضُد والكتف (المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٠).
- **الوصاة**: أي الذين يوصون بإذائه.
- **يرفأه**: أي يُسكنُهُ ويرفُقُ به ويدعو له (النهاية ٢/ ٢٤١).

الفوائد والعبر:

١ـ ما كان عليه رسول الله ﷺ قدوة لغيره في الصبر.
٢ـ ثبات الإيمان في القلب لا يحركه شيء.
٣ـ من أساليب أهل الباطل في إيذاء أهل الإيمان.
٤ـ صدق الداعية يرعب الأعداء.
٥ـ حب أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ .
٦ـ جواز الصلاة في حجر الكعبة.

٧- أثر القرآن الكريم على النفوس

* عن ابن عباس، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض ما قِبَله!

قال: قد علمت قريشٌ أني منْ أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولا يَبْلغ قومَك أنك مُنْكر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لُمثمر أعلاه، مُغْدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى، وإنه ليَحْطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: قف عني حتى أفكِّر فيه.

فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يُؤثَر يأثره عن غيره. فنزلت: ﴿ ذرني ومَنْ خلقتُ وحيدًا وجعلتُ له مالا ممدودًا وبنين شهوداً... ﴾ الآيات. [المدثر: ١١].

* عن ابن عباس ـ أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر المواسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قول بعضكم بعضا. فقيل: يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به، فقال: بل أنتم تقولون وأنا اسمع. فقالوا نقول كاهن؟ فقال: ما هو بكاهن رأيت الكهان، فما هو بزمزمة الكهان، فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بحنقه ولا تخالجه ولا وسوسته،

قالوا: نقول شاعر؟ فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر؟ قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده. قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل، وأن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله في الوليد: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودًا وبنين شهودا ﴾ الآيات. وفي أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ [الحجر: ٩٢].

تخريج الحديث:

أ- أخرجه الحاكم (٢/٥٠٦، ٥٠٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨، ١٩٩) من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس وقال الحاكم "صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي" لكن خالفه حماد بن زيد.

إذ قال الحافظ ابن كثير: (رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلا) أ.هـ فأخطأ فيه معمر. إذ قال ابن معين: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه، وأيوب بصري عراقي

ومما يدل على وهم معمر فيه أنه أخرجه ابن جرير في التفسير (٣٥٤١٩) من طريق ابن عبدالأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة مرسلا فتبين أن الإرسال هو الأصح

ولا يعكر ذلك ما أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/١٩٩، ٢٠٠) وأبونعيم في الدلائل (١٨٣) من طريق ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس

إذ محمد مجهول. فإذا خالفه الثقة (أيوب وعباد بن منصور) فروايته منكرة.

ب- ولكنها ربما تتقوى بما أخرجه أبونعيم (١٨٤) من طريق محمد بن سعيد العوفي ثنا أبي ثنا عمي عن عطية عن ابن عباس، ولكن الإسناد مسلسل بالضعفاء.

جـ - ولكن الآية تشهد لصحتها: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾.

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه الحاكم وأقره الذهبي.

غريب القصة:

- **رَقَّ له**: أي لان ومال إليه.
- **رجزه**: الرجز بحر من بحور الشعر معروف، ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفردا وتسمى قصائده أراجيز واحدها ارجوزة فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزا كما يُسمى قائل بحور الشعر شاعرا (النهاية ٢/ ١٩٩).
- **طلاوة**: أي رونقا وحسنا، وقد تفتح الطاء (النهاية ٣/ ١٣٧).
- **مُغْدق**: الغدق المطر الكبار القطر، والمُغدق مُفعل منه (النهاية ٣/ ٣٤٥).
- **يُؤثَر** : أي ليس هذا القرآن إلا سحرا ينقله عن غيره من البشر.

الفوائد والعبر:

١- اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله من الإعجاز مع كونهم من أهل اللغة.
٢- أثر القرآن الكريم على النفوس.
٣- نشاط الكفار في الباطل.
٤- الجحود وإنكار المعروف وعدم شكر النعمة.
٥- جواز مجادلة المشركين، وإقامة الحجة عليهم.

٨- عرض عُتْبة الزائف للرسول عليه السلام

* عن جابر بن عبدالله، قال: اجتمع قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

فقالوا: ما نعلم أحدا غير عُتْبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أباالوليد.

فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله؟ فسكت رسول لله ﷺ.

فقال: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ.

قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة التي عبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلَّمْ حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلةً قط أشأم على قومه منك، فرّقت جماعتنا، وشتّتّ أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلى أن يقوم بعضُنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجةُ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أيَّ نساء قريش شئت فلنزوِّجك عشرًا.

فقال رسول الله ﷺ : «فرغت؟» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيلٌ من الرحمن الرحيم. كتاب فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » [فصلت: ١ , ٢] إلى أن بلغ « فإن أعْرَضوا فقُلْ أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » [فصلت: ١٣].

فقال عتبة: حَسْبُك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا.

فـرجع إلى قريش فـقـالوا: ما وراءك؟ قـال: مـا تركتُ شـيئـا أرى أنكم تكلِّمونه إلا كلَّمته.

قالوا: فهل أجابك؟ فـقال: نعم. ثم قال: لا والذي نَصَبها بَنِيَّـه ما فهمتُ شيئا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

قالوا: ويلك! يكلمك الرجلُ بالعربية لا تدري ما قال؟

قال: لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذِكْر الصاعقة.

وقد رواه البيهقي.

وزاد: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسًا ما بقيت.

وعنده أنه لما قال: «فـإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعـقة مثل صاعـقة عاد وثمود» أمسك عُتْبة علـى فيه وناشده الرَّحمَ أن يكفَّ عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم.

فقـال أبوجهل: والله يا مـعشـر قريش مـا نرى عُتْبـة إلا صَبَـا إلى محـمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فأتوه.

فقال أبوجهل: والله يا عتبة ما جـئنا إلا أنك صبوتَ إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد.

فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمـدا أبداً. وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا، ولكني أتيته، وقصَّ عليهم القصة، فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ «بسـم الله الرحمن الرحيم تنزيلٌ من الرحمن الرحيم» حتى بلغ «فـإن أعرضـوا فـقل أنذرتكم صاعـقـة مـثل صاعـقـة عاد وثمـودَ» [فصلت:١٣] فأمسكتُ بفيه وناشدته الرَّحم أن يكفَّ، وقد علمتـم أن محمداً إذا قال شيئًا لم يَكْذب، فخفت أن يَنْزل عليكم العذابُ.

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني: سنده حسن إن شاء الله.

تخريج الحديث:

- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٢٩٥، ٢٩٧) وعبد بن حميد كما في المنتخب (١١٢١) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٨١٨) والحاكم (٢/ ٢٥٣، ١٥٤) وأبونعيم في دلائل النبوة (١٨٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٠٢-٢٠٤) والبغوي في التفسير (٤/ ١١٠) من طريق الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر به.

قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي".

وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩. ٢٠): "رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وباقي رجاله ثقات"

وقال الألباني في تخريج فقه السيرة (ص ١١٤): سنده حسن إن شاء الله.

قلت: وأما الذيال بن حرملة فقد اورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، والبخاري في تاريخه وروى عنه خمسة من الرواة فطر بن خليفة وحصين والأجلح وحجاج بن أرطاه والشيباني، ووثقه ابن حبان.

وأما الأجلح فمختلف فيه، وهو حسن الحديث إن شاء الله، قال الحافظ في التقريب: (صدوق).

- ولكن يشهد له ما رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام عن محمد بن كعب القرظي مرسلا.

- وما رواه أبونعيم في دلائله (١٨٥) من طريق أبي راشد صاحب المغازي عن ابن إسحاق ثنا نافع عن ابن عمر (فذكره).

وأبوراشد قال الذهبي: لا أعرفه، وذكره ابن أبي حاتم دون جرح أو تعديل

غريب القصـة:

- **الكهانة** : الكاهن: الكاهنُ الذي يَتَـعاطَى الخـبر عن الكائنات في مسـتـقبل الزمـان، ويَّدعى معـرفة الأسـرار، وقد كـان في العرب كَـهَنَة، كَشِقّ، وسطيح، وغـيرهما، فمنهم من كـان يزعم أنّ له تابعا من الجن ورئيـا يلقى إلي الأخـبار، ومنهم من كـان يزعم أنه يعـرف الأمور بمقـدمات أسباب يـستدلُ بها على مـواقعهـا من كلام من يسـأله أو فعله أو حـاله، وهذا يَخُصـونه باسم العَرّاف، كـالذي يَدَّعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضَّالَّة ونحوهما.
والعرب تُسمي كلَّ من يتعاطى علما دقيقا: كاهنا، ومنهم من كان يُسَمى المنجم والطبيب كاهنا (النهاية ٤/ ٢١٤، ٢١٥).
- **سخلة**: السخلة الـذكر والأنثى من ولد الضأن والمعـز ساعـة يولد، والجمع سخل، وسخال، وسخلان (المعجم الوسيط ١/ ٤٢٢).
- **أشام**: الشؤم ضد اليمن يقال تشاءمت بالشيء وتيمنتُ به (النهاية ٢/ ٥١١).
- **الباءَة**: بالمد الموضع الذي تبوءُ إليه الإبل ثم جُـعل عبارة عن المنزل ثم كُنّي به عن الجماع لأنه لا يكون غالبـا إلا في الباءة، أو لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يتمكن كما يتبوٲ من داره (التـوقيف على مهمات التعاريف ١٠٩).
- **بنَّية**: أي الكعبة.

الفوائـــد والعبـــر:

١ـ عند المحاورة على الداعـية أن يترك الطرف الآخر يتكلم ويفـهم ما يريد ولا يقاطعه، وبعد أن يفرغ يجيبه.

٢ـ الدنيا لا قيمة لها بعين الداعية.

٣ـ أثر الرفقة السيئة على الآخرين.

٤ـ شهادة الكفار بصدق النبي ﷺ.

٥ـ الاغراءات والشهوات والمناصب والنساء لا تثني الداعية عن هدفه الحق.

٦ـ لين الجانب في الدعوة واستماله قلب الخصم أمر مطلوب.

٧ـ روعـة القـرآن الكريم الـتي تأخـذ بالقلوب، وخطره عـلى المكذبين، قـال القاضـي عـياض فـي الشفـا (١/ ٢٧٤): "وعن عتـبة بن ربيعـة أنه كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومـه فتلا عليهم (حم) فصلت إلى قوله (صاعقـة مثل صاعـقة عاد وثمود) فـأمسك عتبـه بيده على في النبي ﷺ وناشده الرحم أن يَكُفَّ، وفـي رواية فجعل النبي ﷺ يقـرأ وعُتبـة مُصْغٍ مُلْقٍ يديـه خلـف ظهره مـعتمد عليـهما حتى انتـهى إلى السجدة فـسجد النبي ﷺ وقام عـتبة لا يدري بم يُراجعُـهُ ورَجَعَ إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فمـا دريت ما أقول له، وقد حُكِيَ عن غـير واحد ممَّن رام معارضَتَهُ أنه اعترته روعة وهيبة كَفَّ بها عن ذلك" أ.هـ.

٩- الهجرة إلى الحبشة

* عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت: لما ضاقت مكة وأوذي أصحابُ رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفعَ ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعَة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابهُ، قال لهم رسول الله ﷺ : «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلُم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكمْ فرَجاً ومَخْرجاً مما أنتم فيه».

فخرجنا إليها أرْسالاً، حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخشَ فيها ظلما.

فلما رأت قريش أنا قد أصَبنا داراً وأمنًا غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجنا من بلاده وليردَّنا عليهم.

فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يَدَعوا منهم رجلا إلا هيَّأوا له هدية على حِدَة، وقالوا لهما: ادفعوا إلي كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

فقدما عليه، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته، فكلموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثنا قومُهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل.

ثم قـدَّموا إلى النجـاشي هداياه، وكان من أحب مـا يهدون إليـه من مكة الأدَم، وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج.

فلما أدخلوا عليـه هداياه قالوا له: أيهـا الملك، إن فتيةً منـا سفهاء فـارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدَع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، وقد بـعثنا إليك فـيهم عـشائرهم، آباؤهم وأعـمامهـم وقوَمُهم لـتردهم عليهم، فإنهم أعلى بهم عينا، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك.

فغـضب ثم قال: لا لعـمر الله! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم فـأكلِّمهم وأنظر ما أمرُهم، قومٌ لجأوا إلى بلادي واختـاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كمـا يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غيـر ذلك منعتُهم ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أُنعَم عينا.

وذكر موسى بن عـقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردَّهم إليـهم، فقال: لا والله حتى أسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه.

فلما دخلوا عليه سـلَّموا ولم يسجدوا له، فقـال: أيها الرهط ألا تحدثوني مالكم لا تحيوني كما يحيِّيني من أتانا من قومكم؟!

فأخبروني ماذا تقولون في عيسى، وما دينكم؟

أنصارى أنتم؟

قالوا: لا.

قال: أفيهودا أنتم؟

قالوا: لا.

قال: فعلَى دين قومكم؟

قالوا: لا.

قال: فما دينكم؟

قالوا: الإسلام.

قال: وما الإسلام؟

قالوا: نَعْبد الله، لا نُشْرك به شيئًا.

قال: من جاءكم بهذا؟

قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونَسَبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسلَ إلى مَن قبلنا، فأمرنا بالبرِّ والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدَّقناه وعرَفْنا كلامَ الله، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومُنا وعادَوا النبيَّ الصادق، وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففرَرْنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا.

قال: والله إن هذا لمن المِشْكاة التي خرج منها أمرُ موسى.

قال جعفر: وأما التحيةُ: فإن رسولَ الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرَنا بذلك فحييناك بالذي يحيِّي بعضنا بعضا.

وأما عيسى بن مريم، فعبدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وابن العذراء البَتُول.

فأخذ عُودا وقال: والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود.

فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشةُ لتخلعنَّك.

فقال: والله لا أقول في عيسى غيرَ هذا أبدا، وما أطاع الله الناسَ فيَّ حين

ردَّ عليَّ مُلكي فأطيعَ الناس في دين الله، معاذَ الله من ذلك.

وقال يونس عن ابن إسحاق: فأرسل إليهم النجاشيُّ فجمعهم، ولم يكن شيء أبغض لعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم.

فلما جاءهم رسولُ النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟

فقالوا: وماذا نقول! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كائنٌ من ذلك ما كان.

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دينَ قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية.

فقال له جعفر: أيها الملك، كنا قومًا على الشرك، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار، يستحل المحارمَ بعضُنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحلُّ شيئًا ولا نحرِّمه، فبعث الله إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نَعْبد الله وحده لا شريك له، ونَصِلَ الأرحام ونَحْمي الجوارَ، ونصلي لله عز وجل ونصوم له ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن إسحاق: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الأرحام وحُسْن الجوار والكَفَّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقَذْف المُحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قال: فعدَّد عليه أمورَ الإسلام.

فصدقناه وآمنَّا به واتبعناه على ما جـاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، ولم نشرك به شيئا، وحرَّمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا.

فعَدَا علينا قومنا فعذبونا ليـفتنونا عن ديننا وليَردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلَّ ما كنا نستحل من الخبائث.

فلما قـهرونا وظلمونـا وضيقـوا علينا وحالوا بيننا وبين ديـننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَن سواك، ورغبْنا في جوارك ورجونا ألا نُظْلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك شيء مما جاء به؟

فقرأ عليه صدرًا من «كهيعص» فبكى والله النجاشي حتى أُخْضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أُخْضلوا مصاحفهم.

ثم قال: إن هذا الكلام ليـخرج من المشكاة التي جاء بها مـوسى، انطلقوا راشدين، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أُنعمكم عَيْنًا.

فخرجنا من عنده، وكان أبقى الرجلين فينا عبدُالله بن ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا بما أسـتأصلُ به خَضَراءهم، ولأخبـرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يَعْبد، عيسى بن مريم، عَبْدٌ!

فقـال له عبـدالله بن ربيعة: لا تفـعل، فإنهم وإن كـانوا خالفـونا فإن لهم رحما ولهم حقًا.

فقال: والله لأفعلن.

فلما كـان الغدُ دخل عليه فقـال: أيها الملك إنهم يقولون في عيـسى قولاً

عظيمًا، فأرسل إليهم فسَلْهم عنه.

فبعث والله إليهم، ولم ينزل بنا مثلُها.

فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم عنه؟

فقالوا: نقول والله الذي قاله الله فيه، والذي أمرَنا نبينا أن نقوله فيه.

فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فدلَّى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عودا بين إصبعيه فقال: ما عدَا عيسى بن مريم مما قلت هذا العُوَيد.

فتناخَرَتْ بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله! اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض. [الشيوم: الآمنون في الأرض] من سبَّكم غرِم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ثلاثا. ما أحب أن لي دبْرا وأني آذيت رجلا منكم، [والدَّبْر بلسانهم]: الذهب.

وقال زياد عن ابن إسحاق: ما أحب أن لي دبْرًا من ذهب. قال ابن هشام: ويقال: زَبرًا. وهو الجبل بلغتهم.

ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ مُلكي، ولا أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه، ردُّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها، واخرجا من بلادي.

فخرجا مقبوحَيْن مردودًا عليهما ما جاءا به.

قالت: فأقمنا مع خير جار في خير دار.

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه.

فوالله ما علمتنا حزنًا حزنًا قط هو أشد منه، فرَقًا من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يَعْرف من حقِّنا ما كان يعرفه.

فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سائرا.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من يخرج فيحضُر الوقيعة حتى ينظر على من تكون.

فقال الزبير، وكان من أحدثهم سنًا: أنا.

فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، فجعل يَسْبَح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الوقعة.

فهزم الله ذلك الملكَ وقَتله وظهر النجاشي عليه.

فجاءنا الزبير، فجعل يُليح لنا بردائه ويقول: ألا فأبشروا، فقد أظهر الله النجاشيَّ.

قالت: فوالله ما علمتنا فرحنا بشيء قط فَرَحنا بظهور النجاشي. ثم أقمنا عنده حتى خرجَ من خرج منا إلى مكة وأقام من أقام [1].

***

قال الزهري: فحدَّثتُ هذا الحديث عُروة بن الزبير عن أم سَلَمة، فقال عروة: أتدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ مُلكي فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناسَ فيَّ فأطيع الناس فيه؟

فقلت: لا، ما حدَّثني ذلك أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة.

فقال عروة: فإن عائشة حدَّثتني أن أباه كان ملكَ قومه، وكان له أخ له من صُلبه اثنا عشر رجلا، ولم يكن لأبي النجاشي ولدٌ غير النجاشي، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملَّكنا أخاه، فإن له اثنى عشر رجلا من صُلبه فتوارثوا الملك، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف.

فعدَوْا عليه فقتلوه وملَّكوا أخاه.

فدخل النجاشيُّ بعمه حتى غلب عليه، فلا يُدير أمره غيره، وكان لبيبا حازمًا من الرجال.

فلما رأت الحبشة مكانَه من عمه، قالوا: قد غَلب هذا الغلامُ على أمر عمه، فما نأمن أن يملكه علينا، وقد عرف أنا قتلنا أباه، فلئن فعل لم يدَعْ منا شريفا إلا قتله، فكلِّموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا.

فمشوا إلى عمه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتى منك، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه، وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا. قال: ويحكم! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم.

فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به.

فلما كان العشي هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلته.

ففَزِعوا إلى ولده، فإذا هم مُحْمِقُون ليس في أحد منهم خير. فمَرَجَ على

الحبشة أمرهم. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله إن مَلِككم الذي لا يُصْلح أمركم غيرُه للذي بعتم الغَداةَ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدرِكوه قبل أن يذهب.

فخرجوا في طلبه، فأدركوه فردُّوه، فعقدوا عليه تاجَه وأجلسوه على سريره وملَّكوه.

فقال التاجر: ردوا عليَّ مالي كما أخذتم مني غلامي. فقالوا: لا نعطيك. فقال: إذاً والله لأكلمنَّه.

فمشى إليه فكلَّمه فقال: أيها الملك، إني ابتعتُ غلاماً فقبض مني الذين باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردُّوا عليَّ مالي.

فكان أولَ ما خُبر من صلابة حُكْمه وعَدْله أن قال: لترُدُّن عليه ماله أو لتَجْعلن يدَ غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء.

فقالوا: بل نعطيه ماله. فأعطوه إياه.

فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرِّشوة فآخذ الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي، وما أطاع الناسَ فيَّ فأطيع الناس فيه(٢).

درجة الحديث عند أهل العلم:

حديث أم سلمة الأول صححه المحدث أحمد شاكر والعلامة الألباني.

غريب القصة:

- **أرسالا**: جماعات.
- **النجاشي**: اسمه أصحمة بن بحر، والنجاشي لقب الملك عندهم كقولهم كسرى وهرقل؛ قال ابن كثير: "قيصر علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم، وكسرى علم على من ملك الفُرس، وفرعون علم لمن ملَك مصر كافة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية، وتُبَّع لمن ملك اليمن والشَّحْر، والنجاشي لمن ملك

تخريج الحديث:

(١) حديث أم سلمة:

أخرجه ابن إسحاق (١/ ٣٥٧) ومن طريقه أحمد (١/ ٢٠١-٢٠٣، ٥/ ٢٩٠-٢٩٢) وأبونعيم في الحلية (١/ ١١٥) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٠١) حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن المخزومي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ.

وإسناده حسن، فيه ابن إسحاق وهو مدلس، ولكنه صرح بالتحديث.

قال الهيثمي في المجمع: (٦/ ٢٤-٢٧) "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع"

وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٧٤٠) وصححه شيخنا الألباني في تخريج فقه السيرة (١٢١).

(٢) حديث عائشة:

رواه ابن إسحاق (١/ ٣٦٣) من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة وهذا سند حسن.

الحبشة، وبطليموس لمن ملك اليونان، وقيل الهند، وخاقان لمن ملك الترك".

- **بطارقته:** هي جمع بطريق وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم وهو ذو منصب وتقدم عندهم (النهاية ١/ ١٣٥).
- **الرهط**: هم عشيرة الرجل وأهله، والرهط من الرجال ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهُط وأرهاط، وأراهط جمع الجمع (النهاية ٢/ ٢٨٣).
- **المشكاة:** الكوة غير النافذة، وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد (النهاية ٤/ ٣٣٤).
- **العذراء البتول**: التبتل الانقطاع عن النساء وترك النكاح، وامرأة بتول منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيح عليها السلام، وسميت فاطمة البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى (النهاية ١/ ٩٤).
- **أساقفته**: جمع اسقف قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣٧٩): "هو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، وهو اسم سرياني، ويحتمل أن يكون سُمى به لخضوعه وانحنائه في عبادته، والسَّقَفُ في اللغة طول في انحناء".
- **خضراءهم**: أي دهماؤهم وسوادهم (النهاية ٢/ ٤٢).
- **فتناخرت**: بالخاء المعجمة قال ابن الأثير: "أي تكلمت وكأنه كلام مع غضب ونفور، وأصله من النخر، وهو صوت الأنف".
- **ينشب**: أي لم يلبث.

الفوائد والعبـــر:

١ـ جواز الاحتماء بأهل العدل ولو كانوا كفارا فرارا بدين الله.

٢ـ التوكل على الله عز وجل مع بذل الأسباب.

٣ـ عدم إطاعة الناس في سخط الله خاصة عند حدوث النعم.

٤ـ هول الموقف لا يغير من ثبات المؤمن فينطق بالحق ولو خالف من نحن بحاجته.

٥ـ فرحة المسلم لمن هو أقرب للحق ولو خالفه بالدين.

٦ـ "والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

٧ـ لا يغني حذر من قدر.

٨ـ "فإذا قلتم فاعدلوا".

٩ـ "لئن شكرتم لأزيدنكم".

١٠ـ النعمة تستوجب الشكر.

١١ـ من أساليب الكفار في محاربة الدين وأهله.

١٠ - الصحيفة الظالمة وتقاسم المشركين على النبي عليه السلام

* وحَصْرهم إياهم في شِعب أبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق.

قال موسى بن عُقْبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمون الجَهْدَ واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية.

فلما رأى أبوطالب عملَ القوم جمع بني عبدالمطلب، وأمرَهم أن يُدْخلوا رسول الله ﷺ شِعْبَهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله.

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعلَه حميَّة، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا.

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فاجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يَدْخلوا بيونهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق: لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعاما يَقْدُم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه.

يريدون بذلك أن يُدركوا سفك دم رسول الله ﷺ.

فكان أبوطالب إذا أخذ الناسُ مضاجعهم أمرَ رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد به مكرا أو اغتيالا له، فإذا نام الناسُ أمرَ أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

***

فما كان رأسُ ثلاث سنين تلاوَمَ رجال من بني عبد مناف ومن قصيّ، ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساءٌ من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحم واستخفوا بالحق.

واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلَّ ما كان فيها من عهد وميثاق.

ويقال: كانت معلقة في سقف البيت، فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته، وبقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم.

وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فقال أبوطالب: لا والثواقب ما كذبني.

فانطلق يمشي بعصابته من بني عبدالمطلب، حتى أتى المسجد وهو حافلٌ من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ.

فتكلم أبوطالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها، فعلَّه أن يكون بيننا وبينكم صلح.

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها.

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكُّون أن رسول الله ﷺ مدفوع إليهم، فوضعوها بينهم، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد، جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال أبوطالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نَصَف، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني، أن الله بَرِئٌ من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كلَّ اسمٍ هو له فيها، وترك فيها غَدْرَكم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم.

فإن كان الحديث الذي قال ابنُ أخي كما قال فأفيقوا، فوالله لا نُسلمه أبدا حتى يموت مِنْ عندنا آخرُنا.

وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم.

قالوا: قد رضينا بالذي تقول.

ففتحوا الصحيفة، فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أُخبر خبرها.

فلما رأتها قريش كالذي قال أبوطالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم.

فارتكسوا وعادوا بشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفر من بني عبدالمطلب: إن أوْلَى بالكذب والسحر غيرُنا، فكيف ترون، فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفْسُد صحيفتكم وهي

في أيديكم، طمس ما كـان فيهـا من اسمه وما كـان فيهـا من بغيٍ تركه، أفنحن السَّحرة أم أنتم.

***

قال ابن إسـحق: هذا وبنو هاشـم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعـاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها.

ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفرٌ من قريش.

ولم يبل فيهـا أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحـارث بن حبيب ابن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عـبد مناف لأمه. وكـان هشام لبني هاشم واصلا، وكـان ذا شرف في قومه.

فكان، فيما بلغني، يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً، قد أوْقَـره طعامـا، حتى إذا بلغ به فمَ الشـعب خلع خطامه من رأسـه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بُرّا فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مـشى إلى زهيـر بن أبي أميـة بن المغـيرة بن عـبـدالله بن عمـرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، فقال: يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعـام وتلبس الثيـاب وتنكح النسـاء، وأخوالُك حـيث علمت لا يُباعـون ولا يبتاع منـهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله لـو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا.

قال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتُ في نقضها.

قال: قد وجدتَ رجلا. قال: من هو؟ أنا. قال له زهير: ابغنا ثالثا.

فذهب إلى المطعم بن عَدِي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا.

قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد.

قال: وجدت لك ثانيا. قال: من؟ قال: أنا. قال: ابغنا ثالثا. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال ابغنا رابعا. فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقام نحوَ ما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل تجد أحدا يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك. قال: ابغنا خامسا.

فذهب إلى زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلَّمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟

قال: نعم. ثم سمَّى القومَ.

فاتعدوا حَطمَ الحجُون ليلا بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أولَ من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حُلة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هَلْكى لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبوجهل: وكان في ناحية المسجد: والله لا تُشقُّ.

قال زَمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، مارضينا كتابتها حين كتبت.

قال أبو البختري: صدق زَمْعَة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرُّ به.

قال المطعم بن عدى: صدقتما وكذب من قيل غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك.

قال أبو جهل: هذا أمر قد قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان.

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد.

وقام المُطْعم بن عَدِى إلى الصحيفة لِيشقها فوجد الأرَضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم».

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكْرمة فشُلَّت يده، فيما يزعمون.

تخريج الحديث:

- السند مرسل صحيح، وأصل هذه القصة في صحيح البخارى (٣/ ٤٥٢، ٧/ ١٩٢ الفتح) من طريق الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسـول الله ﷺ حين أراد قدوم مكة: منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر" قال الحافظ في الفتح (٧/ ١٩٣): "ولما لم يثبت عند البخـارى شيء من هذه القصة أكـتفى بأيراد حديـث أبى هريرة لأن فيه دلالة على أصل القـصة لأن الذى أوردة أهل المغازى من ذلك كالشرح لقوله في الحديث (تقاسموا على الكفر)".

قلت: ومما يقوى هذه الرواية مع أن أصلها في البخاري كما تقدم.

١ـ ما أخرجه البيهقى في دلائل الـنبوة (٢/ ٣١٤) وأبو نعيم في الدلائل (٢٠٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة مرسلا. . وفيه ابن لهيعة وارسال عروة.

٢- وأخرجه أيضا ابن سـعد في الطبقات مختصرا (١/ ٢٠٩) مـن طريق إسرائيل عن زياد بن فياض عن عكرمة مرسلا. وهذا مرسل صحيح، وبهما تتقوى الرواية.

وخلاصة ذلك أن مرسل الزهري وعكرمة وعروة، وأصل القصة في الصحيح تتقوى بهم هذه القصة، والله أعلم.

غريب القصة:

- **لحست**: أى أخذت.
- **الثواقب**: الكواكب، وفى التنزيل: (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب).
- **الجِبْتُ**: كل ما عبد من دون الله قال تعالى: " يؤمنون بالجبت والطاغوت" .

الفوائد والعبر:

١- إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكره، وإن مع العسر يسرا.
٢- "وما يعلم جنود ربك إلا هو" .
٣- جواز الاستعانة بالقبيلة لحماية الدين ولو كان البعض يخالف المعتقد.
٤- أساليب أهل الباطل في محاربة الدين وأهله.
٥- تقاسم المشركين على النبي ﷺ (قاله البخارى).
٦- الآيات والمعجزات لا ينتفع بها إلا المؤمنون.

١١ - هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

* عن عمر قال: اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضُبَ من إضاءة بني غِفَار فوق سَرِف، وقلنا: أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس، فليَمْض صاحباه.

قال: فأصبحتُ أنا وعياش عند التناضب، وحُبس هشام وفتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبوجهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمِّهما، حتى قدما المدينة ورسولُ الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمسَّ رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك. فرقَّ لها، فقلت له: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمَّك القملُ لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت!

قال: فقال: أبرُّ قسمَ أمي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: قلت: والله إنك لتعلم أني لَمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما.

قال: فأبَى عليَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أمَّا إذ فعلتَ ما فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها نَجيبة ذَلول فالزم ظهرها، فإن رابَك من أمر القوم ريبٌ فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبوجهل: يا أخي والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدَوْا عليه فأوثقاه رباطا، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن.

قـال عمـر: فكنا نقول: لا يقـبلُ الله ممن افـتتن توبةً. وكانوا يقـولون ذلك لأنفسهم.

حتى قـدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله: ﴿ قُل ياعـبادي الذين أسْـرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفـر الذنوب جميعًا إنه هو الغفورُ الرحـيـم. وأنيـبـوا إلي ربِّكم وأسلمـوا له من قـبل أن يأتيكم الـعـذابُ ثم لا تُنصرون. واتبعوا أحسنَ ما أُنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذابُ بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾.

قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص.

قال هشام: فلمـا أتتني جعلت أقرأها بذي طُوًى أصعِّـد بها وأصوِّب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهِّمْنيـها، فألقَى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا.

قال: فرجعتُ إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة.

وذكر ابن هشـام أن الذي قدم بهشام بـن العاص، وعَيَّاس بن أبي ربيـعة إلى المدينة الوليد بن المغـيرة سرقهـما من مكة وقدم بهمـا يحملهما على بـعيره وهو ماش معهما، فعثر فدميت أصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبَعٌ دَميتِ   وفي سبيل الله ما لقيتِ

درجة الحديث:

قال الهيثمي رجاله ثقات.

قلت: والسند حسن متصل.

غريب القصة:

- **التناضب**: قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ونخل (معجم البلدان ٢/ ٤٩).
- **سَرِف**: موضع قريب من مكة على بعد أميال، وقيل أكثر.
- **أضَاءةُ بني غفار**: الماء المستنقع من سيل أو غيره، ويقال هو غدير صغير، ويقال هو مسيل الماء إلى الغدير، وغفار قبيلة من كنانة موضع قريب من مكة قرب التناضب (معجم البلدان ١/ ٢١٤).

---

[١] تخريج الحديث:

أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (١/١١٨، ١١٩) ومن طريقه البزار (٢/ ٣٠٢، ٣٠٤ - كشف) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٦١، ٤٦٢) وفي السنن (٩/ ١٣، ١٤) قال حدثني نافع مولى ابن عمر عن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه.

وابن إسحاق مدلس ولكنه صرح بالتحديث فأنتفت شبهة التدليس.

قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦١): "رواه البزار ورجاله ثقات".

قلت: والسند حسن متصل.

الفوائد والعبر:

١ـ من أساليب المشركين الماكرة في الصد عن دين الله.

٢ـ فراسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣ـ واجب المؤمن الحذر من غدر الأعداء.

٤ـ حب المؤمن لأخيه المؤمن يرخص له كل شيء.

٥ـ اللجوء إلى الله في حل المشكلات العلمية بالدعاء.

٦ـ المؤمن مبتلى، وكم في طريق الدعوة من عقبات.

١٢- هجرة صهيب الرومي مع ترك أمواله للمشركين

* عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أُريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حَرَّتين، فإما أن تكون هَجَر أو تكون يثرب" قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبوبكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدَّني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكيا، فناموا، فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرتُ يريدون ليردُّوني، فقلت لهم: إن أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي وتوفون لي؟ ففعلوا فتبعتهم إلى مكة، فقلت: احفروا تحت أسكُفَّة الباب فإنّ بها أواقي، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين.

وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال: "يا أبا يحيى ربح البيع" فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام".

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه الحاكم والألباني.

تخريج الحديث:

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٢، ٥٢٣) والطبراني في الكبير (٨/ ٣٦، ٣٧) من طريق زيد بن الحريش ثنا يعقوب بن محمد ثنا حصين بن حذيفة أخبرني أبي وعمومتي عن سعيد بن المسيب عن صهيب. وهذا سند فيه مجاهيل.

=

غريـب القصـة:

- **سبخة**: السِّباخ جمع سبخة، وهي الأرض التي تعلُوها المُلُوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر (النهاية ٢/ ٣٣٣).
- **حرتين**: مثنى حرة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء (انظر معجم البلدان)
- **أواقي**: مفردها أوقية، والأوقية تعادل أربعين درهما.
- **أُسْكُفَّة**: أُسْكُفَّة البـاب بضم الهمزة عتـبته العليـا، وقد تستعـمل في السفلى (مختار الصحاح).
- **حلتين**: الحلة بالـضم لا تكون إلا ثوبين من جـنس واحـد، والجـــمع حلل (مختار الصحاح).

الفوائـد والعبـر:

١ـ المؤمن مبتلى في دينه وأهله وولده وأرضه وماله.

٢ـ من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٦٠): "رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم"

قلت: لكن رواه الحـاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٨) من طريـق حماد بن سلمـة عن ثابت عن أنس نحوه وهذا إسناد صحيح.

ومن حديث أيوب عن عكرمة وهو مرسل صحيح.

وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

قلت: وله طرق أخرى مرسلة كما في الإصابة (٢/ ١٨٨).

والحديث صححه شيخنا العلامة الألباني في التعليق على فقه السيرة (١٦٦).

٣ـ فضل صهيب الرومي رضي الله عنه.

٤ـ المال عزيز وبه قوام الإنسان، ولكن الدين أعز؛ قال الناظم:

"الدين رأس المال فاستمسك به   فضياعه من أعظم الخسران"

٥ـ واجب المسلم تحصين نفسه والبعد عما يضر بدينه.

٦ـ التضحية في سبيل الله دليل على نجاح المسلم.

٧ـ المتاجرة مع الله بالأعمال الصالحة ربح في الدنيا والآخرة.

٨ـ "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" [آل عمران ٩٢].

١٣ - هجرة الرسول ﷺ وحكاية سراقة

* عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «لم أعقلْ أبوي قطٌّ إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرفي النهار: بُكرة وعشية. فلما ابتُليَ المسلمون، خرج أبوبكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ـ وهو سيد القارة ـ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبوبكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبُد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُجُ ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فأنا لك جار. ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرُج ولا يُخرَج، أتُخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل ويقري الضيف، ويُعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قُريشٌ بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليُصَلِّ فيها وليقرأ ما شاء؛ ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبوبكر رجُلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن؛ فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره

فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه؛ فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبُدُ ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يردّ إليك ذمتك؛ فانا قد كرهنا أن نُخفرك، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي، فإني لا أحبُّ أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبوبكر: فاني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل. والنبي ﷺ يومئذ بمكة. فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبوبكر قِبَلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلك، فاني أرجو أن يُؤذن لي. فقال أبوبكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبوبكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورقَ السَّمُر ـ وهو الخَبط ـ أربعة أشهر. قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: فبينما نحن يوما جُلوسٌ في بيت أبي بكر في حر الظهيرة قال قائلٌ لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعا ـ في ساعة لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبوبكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذنَ له، فدخل. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبوبكر: إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فاني قد أُذنَ لي في الخروج. فقال أبوبكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبوبكر: فُخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجِهاز، وصنعنا لهما سُفرة في جراب،

فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاق. قالت: ثمَّ لحقَ رسول الله ﷺ وأبوبكر بغار في جبل ثور، فكمَنا فيه ثلاثَ ليال، يبيتُ عندهما عبدُالله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌ ثَقفٌ لَقن، فيُدلجُ من عندهما بسَحَر، فيُصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حينَ يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامرُ بن فُهيرة مَولى أبي بكر منحة من غنم فيُريحها عليهما حينَ تذهبُ ساعةٌ من العشاء فيبيتان في رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيفهما ـ حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغاس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبوبكر رجُلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قرش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبُحَ ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل»[1].

* قال ابن شهاب: فأخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سُراقة، أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره.

فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: يا سراقة إني رأيت آنفا أسْوِدةً بالساحل أراها محمدًا وأصحابه.

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تَخْرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزُجِّه الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرّبُ بي حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي فخرَرْت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره. فركبت فرسي وعصيت الأزلام.

فجعل فرسي يقرّب بي، حتى إذا سمعتُ قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبوبكر يُكثر الالتفات، ساخَت يدَا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تُخْرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزلام فخرج الذي أكره.

فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحَبْس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبارَ ما يريد الناسُ بهم، وعرضت عليهم الزادَ والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قالا: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتابَ أمْن، فأمر عامر بن فُهَيرة فكتب لي رقعة من أدَم. ثم مضى رسول الله ﷺ [٢].

***

* وروى محمد بن إسحاق، عن سراقة فذكر هذه القصة، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره: لا يضرُّه، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكلَّ ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذي

يكره: لا يضره. حتى ناداهم بالأمان. وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله ﷺ. قال: فكتب لي كتابا في عَظْم، أو رقعة أو خرقة، وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة مَرجعه من الطائف، فقال له «يومُ وفاء وبر، ادنه» فدنوت منه وأسلمت [٣].

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال: كفيتم هذا الوجه [٤].

وكان سراقة أمير بني مُدلج ورئيسهم، فكتب أبوجهل، لعنه الله، إليهم:

بني مُدلج إني أخاف سفيهكم   سراقة مُستَغوٍ لنصر محمد(*)

عليكم به ألا يفرق جمعكم   فيصبح شتى بدع عز وسؤدد

قال. فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا:

أبا حكَم والله لو كنت شاهدًا   لأمر جوادي إذ تَسُوخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بأن محمدًا   رسولٌ وبرهان فمن ذا يقاومه

بأمر تودُّ النصر فيه فإنهم   وإن جميعَ الناس طُرًا مسالمه

* عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض.

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدُون كلَّ غداة إلى الحَرَّة فينتظرونه حتى يردهم حَرُّ الظهيرة.

فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفَى رجلٌ من اليهود على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبَصُر برسول الله ﷺ وأصحابه

(*) وفي بعض المصادر (يستغوي بنصر).

مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهوديُّ أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جَدُّكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوا رسول الله ﷺ بظَهر الحرَّة، يعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبوبكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ يحيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسول الله ﷺ، فأقبل أبوبكر حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ.

ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان مِرْبَدًا للتمر لسُهيل وسَهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل».

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نَهبُه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما. ثم بناه مسجداً.

فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبن في بنيانه، وهو يقول حين ينقلُ اللبن:

هذا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرْ　　　هذا أبرُّ ربَّنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجرَ أجرُ الآخرةْ   فارحم الأنصارَ والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسمَّ لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات(٥).

تخريج الحديث

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٤٧٥، ٤٧٦، ٧/ ٢٣ ،٢٣١ الفتح) وأحمد مختصرا (٦/ ١٩٨).

[illegible] اللفظ للبخاري من صحيحه، وذلك أن الحافظ ابن كثير أورد الحديث في البداية والنهاية بشيء من الاختصار.

(٢) أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم عن ابن شهاب (٧/ ٢٣٨ الفتح) قال الحافظ: هو موصول بإسناد حديث عائشة، وقد أورده البيهقي في الدلائل، وقبله الحاكم في الإكليل من طريق ابن إسحاق حدثني محمد بن مسلم هو الزهري به، وكذلك أورده الإسماعيلي منفردا من طريق معمر والمعافى في الجليس من طريق صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري" أ.هـ.

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٢-١٣٥) من طريق الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم به. وهذا سند حسن رجاله ثقات عدا مالك بن جعشم فإنه من رجال البخاري وقد احتج به.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١) عن سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن أعين ثنا زهير ثنا أبوإسحاق سمعت البراء (فذكره)، وأخرجه البخاري (٦/ ٦٢٢ الفتح) من وجه آخر من طريق زهير بن معاويه ثنا أبوإسحاق سمعت البراء بن عازب (فذكره)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٨٥) من طريق سلمة بن شبيب.

(٥) أخرجه البخاري عن عروة مرسلا (٧/ ٢٣٩ الفتح)، وقد وصله الحاكم في المستدرك (٣/ ١١) من طريق معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أبيه.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

غريب القصة:

- **أبويّ** : أبو بكر الصديق وزوجته رومان رضي الله عنهما.
- **بَرْك الغماد**: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن.
- **ابن الدغنة**: الدغنة أمه أو أم أبيه، وقيل دابته وتعني المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر (الفتح ٧/ ٢٣٣).
- **القارة**: قبيلة مشهورة من بني الهون.
- **تكسب المعدوم**: بفتح التاء أي تعطى المعدوم العجز ما لا يجد من المال وغيره.
- **تحمل الكلّ**: أي ترفع الثقل عن المنقطع والضعيف والمحتاج.
- **نوائب الحق**: النوائب جمع نائبه وهي النازلة سواء كانت من خير أو شر.
- **نُخْفرك**: أي نغدر بك.
- **ذمتك**: أي أمانك له.
- **على رسلك**: أي على مهلك، والرسل السير الرفيق.
- **نطاقها**: النطاق ما يشد به الوسط، وقيل هو ازار فيه تكة، وقيل هو ما تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل قاله أبوعبيد الهروي (الفتح ٧/ ٢٣٦).
- **يدلج**: أي يخرج بسحر.
- **غلس**: الظلمة.
- **بزُجه**: الحديدة التي في أسفل الرمح (الفتح ١/ ٢٤١)
- **كنانتي**: جعبة صغيرة من جلد للنبل.

- **الأزلام**: هي الأقداح وهي السهام التـي لا ريش لها ولا نصل، وقد ورد ذكر الأزلام في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى: "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" [المائدة ٣]

وقال سبحانه: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" [المائدة ٩٠].

والاستقسام بالأزلام هنا ضرب من التطير، وتعنى طلب معرفة ما قُسم له من الخير والشر قال ابن كثير: "ومنهم من قال: مكتوب على الواحد: أمرني ربي، وعلى الآخر نهاني ربي، والثالث غُفْل ليس عليه شيء، فإذا أجالها وطلع سهم الأمر فعله، أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد".

ولا شك أن هذا من المحرمات التي حرمها الشارع الحكيم.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لن يلج الدرجات العلى من تكهن، أو استقسم، أو رجع من سفر تطيرا" صحيح الجامع (٥٢٢٦).

- **يرزآني**: أي لم يأخذا أو ينقصا مني شيئا.
- **الجعرانة**: بكسر الجيم والعين وتشديد الراء هو قول أصحاب الحديث، وأما الحجازيون وأهل الأدب واللغة يكسرون الجيم ويسكّنون العين ويخففون الراء، وهي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أدنى وبها قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين ومنها أحرم بعمرته في وجهته تلك. (معجم ما استعجم ١/ ٣٨٤ - معجم البلدان ٢/ ١٤٢).
- **أُطُم**: هو حصن ويقال كان بناء من حجارة كالقصر.
- **مبيضين**: أي عليهم الثياب البيض، وقيل معناه مستعجلين.

الفوائد والعبر:

١ـ اتخاذ الأسباب الكاملة للأمان والمؤنة والطريق ثم تفويض الأمر إلى الله سبحانه.

٢ـ من خصائص أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفضله.

٣ـ تحين الأوقات المناسبة للزيارة ولو لأفضل الاخوان.

٤ـ سكينة الرسول ﷺ ، والثقة بالله عزوجل "لا تحزن إن الله معنا" "إن الله يدافع عن الذين آمنوا".

٥ـ عزة النفس عدم قبول الراحلة إلا بالثمن.

٦ـ الوفاء بالعهد، وعدم الغدر، والمسلمون عند شروطهم ولو كانوا هم الغالبون.

٧ـ حب أبي بكر الصديق للنبي ﷺ وخوفه عليه.

٨ـ صلة الرحم.

٩ـ عدم الغدر وخاصة عند النصر.

١٠ـ التأدب مع العلماء.

١١ـ الاهتمام بالمسجد ركن أساسي لبناء الدوله.

١٢ـ عدم استغلال المنصب، وخاصة عند بداية الدعوة لئلا يظن الناس سوءا.

١٣ـ تواضع النبي ﷺ حتى أنه لم يعرفه الناس عند القدوم.

١٤ـ تفويض الأسباب الغير مقدور عليها لله تعالى، وكذلك نتائج الأسباب المبذولة.

١٥ـ لقاء النبي ﷺ لم يكن بالدف والغناء أو التصفيق، وإنما كان بالسيف والسلاح.

١٦ـ القائد الناجح يشارك أصحابه في العمل والبناء.

١٤ - نزول الرسول ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري

* عن أبي رُهْم السماعي، حدثني أبو أيوب، قال لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفل، وأنا وأم أيوب في العُلو، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أكره وأعظم أن أكون فوقَك وتكون تحتي، فاظهَرْ أنت فكُن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل.

فقال: « يا أبا أيوب إنَّ أرْفَق بنا وبمَنْ يغشانا أن أكون في سفل البيت».

فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حُبٌّ لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة ما لنا لحافٌ غيرها، ننشِّف بها الماء تخوفًا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه.

قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا ردَّ علينا فَضْلة تيمَّمتُ أنا وأمُّ أيوب موضعَ يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثومًا، فردَّه رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثرًا، قال: فجئته فزعًا فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ردَدْتَ عشاءك ولم أر فيه موضعَ يدك؟ فقال « إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه» قال: فأكلناه ولم نَصنْع له تلك الشجرة بعدُ. [١]

* عن أبي أيوب، أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفل وأبو أيوب في العُلو، فانتبه أبو أيوب فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتنحَّوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ ، يعني في ذلك، فقال: «السُّفْلُ أرفقُ بنا» فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحوَّل رسول الله ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفل.

فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاما، فإذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ، فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه فقال: أحرامٌ؟ فقال النبي ﷺ: «لا ولكني أكرهه» قال: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت. قال: وكان النبي ﷺ يأتيه الملَك. (٢)

غريب القصة:

- **قطيفة**: كساء له أهداب ودثار أو فراش ذو أهداث كأهداب الطنافس ونسيج من الحرير أو القطن صفيق أو بر تتخذ منه ثياب وفرش. (المعجم الوسيط ٢/٧٤٧).
- **تيممت**: قصدت.
- **اناجي**: أي الملك.

تخريج الحديث:

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٢/١٤٤) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبدالله اليزني به.

وهذا سند حسن، مرثد بن عبدالله ثقة، وأبورهم مختلف في صحبته.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٣) والبيهقي في الدلائل (٢/٥٠٩) من طريق عاصم بن عبدالله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب (فذكره).

الفوائد والعبـــر:

١ـ فضل أبوأيوب الأنصاري لنزول الرسول في بيته.
٢ـ من أدب أبو أيوب الأنصـاري مع الرسـول ﷺ ، ومنه يؤخذ أجـلال أهل الفضل والعلم.
٣ـ حب الصـحابة لـلرسول ﷺ وتقـديرهم له قـال النووي (١٤/ ١٠): "من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه، ويكره ما كره".
٤ـ مراعاة الرسول ﷺ للمضيف.
٥ـ من الكرم عدم تكليف الضيف ما يشق عليه.
٦ـ قلة ذات اليد عند الصحابة، وتأمل (ما لنا لحافٌ غيرها) !.
٧ـ بركة الرسول ﷺ.
٨ـ مواساة الغـير مما ترك من الطعام، فقد نقل النووي عن العلمـاء أنه يستحب للآكل والشارب أن يفـضل مما يأكل ويشرب فـضلة ليواسي بهـا من بعده، وقال أيضا: ويتأكد هذا في حق الضيف لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يخرجوا كل ما عندهم وتنتظر عيالهم الفضلة كما يفعله كثير من الناس، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون أفضال هذه الفضلة المذكورة، وهذا الحديث أصل ذلك كله.
٩ـ كراهية الرسول ﷺ للثوم والبصل.
١٠ـ إباحة أكل الثوم والبصل.
١١ـ الأدب مع الملائكة.

١٥ - إسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه

عن أنس قال: سمع عبدُالله بن سلام بقدوم النبي ﷺ، وهو في أرض له، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؛ ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بالُ الولدُ ينزعُ إلى أبيه أو إلى أمه.

قال: أخبَّرني بهنَّ جبريل آنفًا. قال: جبريل! قال: نعم. قال: عَدُوُّ اليهُودِ مِنَ الملائكةِ. ثم قرأ: "مَنْ كان عدواً لجبريل فإنه نَزَّله على قلبك بإذن الله".

قال: "أمَّا أولُ أشراط الساعة فنارٌ تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب، وأما أولُ طعام يأكله أهل الجنة فزيادةُ كَبِد حُوت، وأما الولد فإذا سَبَقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَع الولدَ، وإذا سبق ماءُ المرأة الرجل نَزعت الولد"

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بَهَتوني.

فجاءت اليهود. فقال: أيُّ رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرُنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلَمَ؟ قالوا أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبدُالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا شرُّنا وابن شرنا وانتقصوه.

قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٣/ ١٠٨، ١٨٩، ٢٧١) والبخاري في صحيحه (٧/ ٣٩٣٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١/ ١٧٨) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٦٠ - ٢٦١) وابن منده في التوحيد (١/ ٢٢٩) وغيرهم من طرق عن حُميد الطويل عن أنس (فذكره).

غريب القصة:

- **عبدالله بن سلام**: ابن الحارث من خواص أصحاب النبي ﷺ الحَبْر الإسرائيلي ثم الأنصاري حليف الأنصار، وكان من يهود قينقاع، أسلم عندما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجرًا؛ قال شيخ الإسلام (١٩/ ٢٢٢):
"ابن سلام وأمثاله هو واحد من جملة الصحابة والمؤمنين وهو من أفضلهم، وكذلك سلمان الفارسي، فلا يقال فيه: انه من أهل الكتاب، وهؤلاء لهم أجور مثل أجور سائر المؤمنين بل يؤتون أجرهم مرتين، وهم ملتزمون من جميع شرائع الإسلام، فأجرهم أعظم من أن يقال فيه (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) " أ.هـ.
قلت: اتفق أهل التاريخ على أنه مات سنة ثلاث وأربعين بالمدينة رضي الله عنه.
- **أشراط**: الأشراط جمع شرط وتعني العلامات الي يعقبها قيام الساعة.
- **زيادة كبد الحوت**: الزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة (الفتح ٧/ ٢٧٣).
- **بهت**: بضم الموحدة والهاء، ويجوز اسكانها؛ جمع بهيت وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب (الفتح ٧/ ٢٧٣).
وقال الكرماني (١٥/ ١٤٦): "بهت. جمع بهوت، وهو كثير البهتان"
قلت: ومنه قول الرسول ﷺ: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتَبْتَهُ، وإنْ لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّهُ" رواه مسلم.

الفوائد والعبـر:

١ـ العداوة لجبريل عليه السلام كفـر بالله وآياته، وإنما عادى اليهود جبريل عليه السلام لأنه يأتي بالحق من عند الله على رسله.

قال العـلامة السعـدي في تفسيـره (١/ ١١٦): العداوة لجبـريل، الموصوف بذلك، كـفـر بالله وآياته، وعـداوة لله ولرسله ومـلائكته، فـإن عـداوتهم لجبـريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله فتـضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل إليه فهذا وجه ذلك" أ.هـ.

٢ـ من أشراط السـاعة النار التي تحشـر الناس، وقد جاءت الروايات بالإضـافة إلى حديث البـاب حديث حذيفـة بن أسيد "اطلع النبي ﷺ ونحن نتـذاكر فقال: ما تذكـرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: انها لن تقـوم حتى تروا قبلها عشر آيات... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى محشرهم" رواه مسلم وفي رواية "ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس" وعند أحمد عن ابن عمر "ستـخرج نار من حضرموت أو من بحر حـضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس".

قال الحـافظ في الفتح (١٣/ ٨٢): "وهذا في الظاهر يعـارض حديث أنس المشار إلـيه في أول الباب، فـإن فيـه أول أشراط السـاعة نار تحشـرهم من المشرق إلى المغرب، وفي هذا أنها آخر الأشراط، ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبـار ما ذكر معهـا من الآيات، وأوليتها باعتـبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدينا" أ.هـ.

وقال في موضع آخر (١١/٣٧٨-٣٧٩): "وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله "تحشر الناس من المشرق إلى المغرب" ارادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق.. وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب، ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحسر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مرارا من المغول من عهد جنكيزخان ومن بعده، والنار في الحديث على حقيقتها والله أعلم".

٣- طعام أهل الجنة.

٤- مشابهة الولد والديه.

٥- من أساليب المحاججة وافحام الخصم.

٦- الحجج والبراهين والآيات لا ينتفع بها إلا المؤمنون.

٧- إسلام قائل الشهادتين.

١٦- سعد بن معاذ رضي الله عنه
مع أبي جهل وأمية بن خلف

* عن سعد بن معاذ، أنه كان صديقا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية.

فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة، قال سعد لأمية: انظر لي ساعة خَلْوَة لعلّي أطوف بالبيت، فخرج به قريبا من نصف النهار، فلقيهما أبوجهل، فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ قال: هذا سعد. قال له أبوجهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أوَيتم الصُّبأةَ وزعمتم أنكم تنصُرونَهم وتعينونهم، أما والله لولا أنكَ مع أبي صفوان ما رجعتَ إلى أهلكَ سالما.

فقال له سعد، ورفع صوتَهُ عليه: أما والله لئن مَنَعتَني هذا لأمنعنَّكَ ما هو أشدُّ عليكَ منه: طريقَكَ على المدينة.

فقال له أمية: لا تَرفَع صوتكَ يا سعدُ على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي. قال سعدُ: دَعْنا عنكَ يا أُمية، فوالله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك» قال: بمكة؟ قال: لا أدري.

ففَزِع لذلك أميةُ فزعًا شديدًا.

فلما رجع إلى أهله قال: يا أُمَّ صفوان ألم تَرَى ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟.

قال: زعمَ أنَّ محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري.

فقال أمية: والله لا أخرجُ من مكة.

فلما كان يومُ بدرٍ، استنفر أبوجهلٍ الناسَ، فقال: ادركوا عِيرَكم. فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبوجهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيدُ أهل الوادي، تخلفوا معك.

فلم يزل به أبوجهل حتى قال: أمَّا إذ غلبتني فوالله لأشترين أجودَ بعير بمكة.

ثم قال أميةُ: يا أُمَّ صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، وما أريد أن أجورَ معهم إلا قريبًا.

فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (١/ ٤٠٠) والبخاري (٦/ ٦٢٩ - ٧/ ٢٨٢ الفتح).

غريب القصـة:

- **الصُباة**: جمع صابي وهو الذي يتنقل من دين إلى دين.
- **فزع**: أي خاف وفي رواية إسرائيل (قال أمية): "قـال فوالله ما يكذب محمد إذا حدث" (٧/ ٢٨٣ الفتح).
- **أم صفوان**: هي كنيتهـا واسمها صفيـة، ويقال كريمة بنت معمـر بن حبيب، وقيل اسمها فاختة بنت الأسود.
- **اليثربي**: نسبة إلى يثرب اسم المدينة قبل الإسلام، والمراد بالاخوة هنا المعاهدة والموالاة.
- **استنفر**: أي طلب خروج الناس.
- **عِيرَكم**: أي الإبل والقافلة التي كانت تحمل الميرة والزاد مع أبي سفيان.

الفوائد والعبـــر:

١ـ شجاعة المسلم ولو كان بين الكفار وحده.

٢ـ الإنباء بمصرع أمية من البشائر المثبتة للمؤمنين.

٣ـ من علامات النبوة ذكر من يقتل ببدر.

٤ـ المبطلون يعدون الأسباب للنجاة عند الخطر.

٥ـ ما كان عليه سعد بن معاذ من قوة النفس واليقين بالله سبحانه.

٦ـ إن للعمرة شأن قديم.

٧ـ إن الصـحابة كـان مأذون لهم في الاعـتمـار من قبل أن يعـتمـر النبي ﷺ بخلاف الحج. (الفقرة ٦-٧ من الفتح ٧/ ٢٨٤).

٨ـ "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" [النساء: ٧٨].

١٧ - أبوبكر وعمر والمقداد وسعد بن معاذ وكلماتهم في الجهاد

* قال محمد بن إسحاق رحمه الله: حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن عبدالله بن عباس - كل قد حدثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر - قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام نَدب المسلمين إليهم، وقال: هذه عيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن يُنفلكموها فانتدب الناسُ، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يَلْقى حربا، وكان أبوسفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان، تخوفا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فَحَذِرَ عند ذلك، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى أهل مكة، وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة. وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له «ذفران» فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم فاستشار النبي ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبوبكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا

قاعـدون) ولكن اذهب أنت وربك فـقاتلا إنا معـكما مقـاتلون، فوالذي بـعثك بالحق لو سرت بنا إلى «برك الغماد» لجالدنا مـعك من دونه حتى نبلغه، فقال له رسـول الله ﷺ خيـرا، ودعا له بخـير. ثم قـال رسول الله ﷺ: أشـيروا عليّ أيهـا الناس ـ وإنما يريـد الأنصـار ـ وذلك أنهم كـانوا عَـدد النـاس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قـالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى نصل إلى دارنا، فإذا وصلـت إلينـا فـأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونسـاءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة، من عـدوه، وأن ليـس عليهـم أن يسـير بهم إلى عدو من بلادهم. فلمـا قال رسول الله ﷺ ذلك قال له سـعد بن مـعاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسـول الله؟ قال: أجل فقال: فقد امنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا علـى السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعـثك بالحق إن استـعرضت بنا هذا البـحر فـخضتـه لخضناه مـعك، ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا؛ إنا لصُبُر عند الحرب، صُدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُرَّ رسول الله ﷺ بقـول سعد، ونشّطه ذلك، ثم قـال: سيروا على بركـة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم [١].

هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله. وله شواهد من وجوه كثيرة[1].

❋ فـمن ذلك ما رواه البـخاري عن طارق بن شـهاب، قـال سمـعت ابن مسـعود يقول: شهـدتُ من المقداد بن الأسواد مشـهدًا لأنْ أكون صاحـبه أحبُّ إلي مما عُدِل به، أتَى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين. فقال: لا نقول كما قال

(1) هذه الشواهد من البداية والنهاية.

قومُ موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبيَّ ﷺ أشرَق وجهه وسرَّه [٢].

* روى أحمد، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ: شاور حين بلغه إقبالُ أبي سفيان، قال: فتكلم أبوبكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة: إيانا يريد رسولُ الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخيضها البحارَ لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغِماد لفعلنا. فندب رسولُ الله ﷺ الناسَ.

قال: فانطلقوا حتى نزلوا بدراً، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه، وكان أصحابُ رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: مالي علمٌ بأبي سفيان، ولكن هذا أبوجهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف. فإذا قال ذلك ضربوه، فإذا ضربوه. قال: نعم، أنا أخبركم، هذا أبوسفيان،. فإذا تركوه فسألوه قال: مالي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبوجهل وعُتبة وشَيبة وأمية. فإذا قال هذا أيضًا ضربوه.

ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف فقال: والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كَذبكم.

قال: وقال رسول الله ﷺ: هذا مَصْرع فلان، يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا، فما أماط أحدُهم عن موضع يد رسول الله ﷺ [٣].

تخريج الحديث:

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في التفسير لابن كثير (٣/ ٥٥٧ - الشعب) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١-٣٤). =

غريب القصة:

- **ذفران**: واد بقرب المدينة، والذفر كل ريح نفاذة من طيب أو نتن.
- **برك الغماد**: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن.
- **خضناه**: يعني الخيل أي لو أمرتنا بإدخال خيولنا في البحر وتمشيتنا إياها فيه لفعلنا.
- **نضرب أكبادها**: كناية عن ركضها، فإن الفارس إذا أراد ركض مركوبه يحرك رجليه من جانبيه ضاربا على موضع كبده. (حاشية مسلم/ عبدالباقي).
- **روايا قريش**: الإبل التي كانوا يستسقون عليها.
- انصرف: أي سلم وفرغ من صلاته.
- **أماط**: أي بعد.

= وهذا إسناد حسن إن شاء الله، وابن إسحاق صرح بالسماع، فزالت شبهة تدليسه.

(تنبيه) هذه الرواية نقلت من التفسير لابن كثير لأنها أتم من الأصل كما تقدم ذكره في المقدمة.

قلت: وللحديث شواهد كما قال ابن كثير وهذا تخريجها.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٣٩٥٢، ٨/ ٤٦٠٩ الفتح) وأحمد (١/ ٣٨٩,٤٢٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧/ ٦١) والحاكم (٣/ ٣٤٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢١٩، ٢٢٠، ٢٥٧، ٢٥٨) ومسلم (١٧٧٩) وأبوداود (٢٦٨١) من طريق عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس (فذكره).

الفوائــد والعبــر:

١ـ استيـثاق الرسول من أمـر الأنصار، لأن الذين تكلموا كانوا من المهـاجرين وهم أقلية في الجيش قال النووي (١٢/ ١٢٤): "قـال العلماء إنما قصد ﷺ اختـبار الأنصار لأنه لم يكن بايـعهم على أن يخرجـوا معه للقـتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصـده فلما عرض الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك فـأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة وغيرها، وفيه استشارة الأصحاب وأهل الرأي والخبرة" .

٢ـ اسـتشـارة الرسول عليـه السلام لأصـحابه مـرتين [(١)] يفيـد التعـرف على الإمكانيات، وليستن به من بعـده، ولتطيب به قلوبهم قال ابن الجوزي: من فوائد المشـاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره؛ علم أن امتناع النجـاح محض قدر؛ فلم يلم نفسه.

ومنها: أنه قد يعزم علـى أمر يتبين له الصواب في قول غيره، فـيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح (انظر شرح ثلاثيات مسند أحمد للسفاريني ١/ ٦٨٢).

٣ـ جواز ضرب الأسير الكافر إذا كان في ضربه طائل (قاله الخطابي).

وقال أبوداود: باب في الأسير ينال منه ويضرب ويُقرَّر.

---

(١) فإن قيل كـيف استشار الرسول عليـه السـلام مرتين والغزوة واحدة، أجـاب الحافظ في الفتح فقال: (٧/ ٢٨٨) "ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ اسـتشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى وهو بالمدينة ـ أول مـا بلغـه خبـر العـيـر مـع أبـي سفـيان، وذلك بين في رواية مـسلم ولفظه" أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، والثانية كانت بعد أن خرج".

٤ـ الكلمات القوية الصادقة تبعث في الجيش الحماس.

٥ـ من فضائل أبي بكر وعمر والمقداد وسعد [١] رضي الله عنهم أجمعين.

٦ـ فضل الأنصار رضي الله عنهم وعن الصحابة أجميعن.

٧ـ جواز التعريض بالكلام لمعرفة رأي الآخرين.

٨ـ فطنة سعد بن معاذ رضي الله عنه.

٩ـ بشارة الرسول للصحابة دليل على أن القوة المعنوية من أكبر وسائل النصر.

١٠ـ الغبطة على المواقف البطولية بيان لتسابق الصحابة على الخير.

١١ـ خور قوم موسى وشناعة قولهم وردهم القبيح دليل على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. (انظر تيسير الكريم للسعدي ٢/ ٢٧٧).

١٢ـ جواب المقداد رضي الله عنه بيان أنه عالم بأخبار المرسلين.

١٣ـ تحديد مصارع القوم من دلائل معجزات النبي ﷺ.

قال النووي (١٢/ ١٢٦): "وفيه معجزتان من أعلام النبوة إحداهما اخباره ﷺ بمصرع جبابرتهم فلم ينفذ أحد مصرعه؛ الثانية اخباره ﷺ بأن الغلام الذي كانوا يضربونه يصدق إذا تركوه ويكذب إذا ضربوه، وكان كذلك في نفس الأمر، والله أعلم".

(١) فإن قيل: أي السعدين قال تلك الكلمات؟ قلنا: إنه سعد بن معاذ، وليس سعد بن عبادة رضي الله عنهما كما في الرواية الثانية قال ابن حجر (٧/ ٢٨٨): «ووقع في مسلم أن سعد ابن عبادة هو الذي قال ذلك، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة، وفيه نظر لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدرًا، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه، . . ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب».

١٨ - خروج الرسول ﷺ لقتال المشركين في بدر

* عن أنس، قال: بعث النبي ﷺ بَسْبَسًا عَيْنًا ينظر ما صنعت عيرُ أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغير النبي ﷺ. قال: لا أدري ما استثنى من بعض نسائه، قال: فحدثه الحديث. قال: فخرج رسول الله فتكلم فقال: «إن لنا طَلِبَةً، فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا» فجعل رجالٌ يستأذنونه في ظهورهم في عُلو المدينة قال: «لا إلا من كان ظهره حاضرًا».

وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ « لايتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه».

فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضُها السموات والأرض».

قال يقول عُمَير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! قال: «نعم». قال: بخ بخ؟ فقال رسول الله: « ما يَحمِلُك على قول بخ بخ»؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها».

قال: فأخرج تمرات من قَرَنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة! قال: فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله [1].

وقد ذكر ابن جرير أن عُميرًا قاتل وهو يقول رضي الله عنه:

ركضـا إلـى الله بغير زادِ   إلا التُّقَـى وعمل المَعَادِ
والصَّبرِ في الله على الجهاد   وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النفادِ
غير التُّقَى والبرِّ والرشادِ

* عن علي، قال: لما قدمنا المدينة أصبْنَا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وَعكٌ، وكان رسـول الله ﷺ يتخـير عن بدر [فلمـا بلغنا أن المشركين قـد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها] (٢) فوجدنا فيها رجلين: رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القُرشي فانفلت، وأما المولى فوجدناه [فجعلنا نقول له: كم القومُ؟ فيقول: هم والله كثير عددُهم شديدٌ بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه.

حتى انـتهوا به إلـى رسول الله ﷺ، فقـال له: «كم القوم»؟ قـال: هم والله كثيـر عددهـم شـديد بأسهم. فـجهد الـنبي ﷺ أن يخبره كم هـي فأبى. ثم إن النبي ﷺ سـأله: كم ينحرون من الجُزر؟ فـقال: عَـشرًا كل يوم. فقـال النبي ﷺ «القوم ألفٌ، كلُّ جزور لمائة وتبعها»] (٣).

[ثم إنه أصابـنا من الليل طَـشٌّ منَّف من مطر](٤) فـانطلقنا تحت الشجـر والحُجُف نستظل تحتهـا من المطر، [وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد»](٥).

فلمـا طلع الفجـر نادى: الصلاة عـبادَ الله. فجـاء الناس من تحت الشـجر والحـجف، فصلّـى بنا رسولُ الله ﷺ وحـرَّض على القـتـال ثم قال: «إنّ جـمع قريش تحت هذه الضِّلَع الحمراء من الجبل».

[فلما دنا القومُ منا وصـافَفناهم إذا رجلٌ منهم على جمل له أحمـر يسير

في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ناد حمزة»، وكان أقربهم من المشركين، من صاحب الجمل الأحمر؟ فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة. وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم اعصبوها برأسي وقولوا: جَبُن عتبة بن ربيعة. وقد علمتم أني لست بأجبنكم.

فسمع بذلك أبوجهل فقال: أنت تقول ذلك، والله لو غيرُك يقوله لأعضَضْتُه، قد ملأت رئتك جوفك رعبًا. فقال: إياي تعيِّر يا مُصَفِّر استْه؟ ستعلم اليوم أيُّنا الجبان.

فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حَميةً فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار مشبّبة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمنا من بني عبدالمطلب] (٦).

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حمزة، وقم يا علي، وقم يا عبيدة بن الحارث ابن المطلب».

فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجُرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين، وأسَرْنا سبعين] (٧).

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبدالمطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا ما أسَرني، لقد أسرني رجلٌ أجْلَح من أحسن الناس وجهًا على فرس أبْلَق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسَرْته يا رسول الله.

فقال: «اسكت، فقد أيدَّك الله بملك كريم».

قال: فأسرنا من بني عبدالمطلب العباس وعَقيلا ونوفل بن الحارث (٢).

درجة الحديث عند أهل العلم:

حديث علي صححه الحاكم وأحمد شاكر والألباني.

تخريج الحديث:

(١) حديث أنس

أخرجه أحمد (٣/ ١٣٦) ومسلم (١٩٠١) وأبوداود بعضا منه (٢٦١٨)

(٢) حديث علي

أخرجه أحمد (١/ ١١٧) وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٦٢) وأبوداود بعضا منه (٢٦٦٥) والبزار (٢/ ٣١١) والحاكم بنحوه (٣/ ١٩٤) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي (فذكره).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي: لم يخرجا لحارثة. وقد وهاه ابن المديني. أ هـ.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: هذا سياق حسن، وفيه شواهد، وقد رد الحافظ ابن حجر هذا النقل على ابن المديني فقال في التقريب: ثقة. غلط من نقل عن ابن المديني أنه ترك. أ هـ.

وقد تفرد بطوله الإمام أحمد، وروى أبوداود بعضه من حديث إسرائيل به.

وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٥، ٧٦): "رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة".

قلت: وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢/ ١٩٢، ١٩٣)، والألباني في فقه السيرة (٢٣٧) قلت: وفيه عنعنة أبي إسحاق وهو مدلس.

(٣) ما بين المعقوفتين البداية (٣/ ٢٦٥) رواه ابن إسحاق ثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير مرسلا.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٢) وانظر البداية (٣/ ٢٦٧) عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي مرفوعاً.

(٥) أخرجه البيهقي (٣/ ٦٢، ٦٣) وانظر البداية (٣/ ٢٦٦) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة عن علي.

(٦) أخرجه مسلم وأحمد وانظر البداية (٣/ ٢٧٢) ونحوه رواه ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٦١) ثنا يزيد ابن هارون عن جرير بن حازم عن أخيه يزيد بن حازم عن عكرمة مرسلاً.

ورواه البزار (٢/ ٣١٣) من طريق يزيد بن هارون بسنده عن عكرمة عن ابن عباس به. =

غريب القصة:

- **بَسْبَس**: هو بسبس بن عمرو، ويقال ابن بشير من الأنصار.
- **عينا**: أي متجسسا ورقيبا.
- **عير أبي سفيان**: هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من التجارات.
- **طلبه**: شيئا نطلبه.
- **ظهره**: الظهر الدواب التي تركب، وظهرانهم أي مركوباتهم.
- **بخ بخ**: كلمة تقال عند المدح والرِّضى بالشيء، وتُكررَ للمبالغة، وهي مَبنية على السكون، فإن وَصَلْت جَررْت ونونت فقلت بَخٍ بَخٍ، وربما شُدِّدَت، ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه (النهاية ١/ ١٠١).
- **قرنه**: أي جعبة النشاب.
- **اجتويناها**: اصابنا الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها (النهاية ١/ ٣١٨).
- **الوعك**: الحمى والألم من شدة التعب والإرهاق.
- **يتخير**: يتعرف.

= قال البزار: لا نعلم يرويه بهذا اللفظ إلا ابن عباس، ولا له إلا هذا الطريق، ولا اسنده إلا يزيد بن هارون وحدث له مرة مسندًا، وحدث به من الكتب مرسلاً، ويزيد بن حازم لم يسند غير هذا الحديث. قال الهيثمي: (٦/ ٧٦) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٧) يشهد له ما رواه ابن إسحاق ثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، وحدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا فذكر نحوه.

رواه الحاكم (٣/ ١٨٧، ١٨٨) مختصراً ورواه البيهقي (٩/ ١٣١) من طريق ابن إسحاق به.

ـ **الجزور**: الناقة المجزورة.

ـ **الحجف**: جمع حجفة وهي الترس.

ـ **الضلع**: جبيل منفرد صغير ليس بمنقاد يشبه بالضلع.

ـ **اعصبوها برأسي**: يريدُ السُّبَّة التي تلحقـهم بترك الحرب والجُنوح إلى السَّلم، فأضـمرها اعـتمادا على مـعرفـة المُخاطَبين أي اقرُنـوا هذه الحال بي وانسبوها إليَّ، وإن كانت ذميمة (النهاية ٣/ ٢٤٤).

ـ **لأعضضته**: أي قلت له: (اعضض بأير أبيك).

ـ **يا مصفر استه**: رماه بالأُبْنة وأنه يزعفر استـهُ، وقيل هي كلمة تقال للمتنعم المترف الذي لم تحنكه التجارب والشدائد (النهاية ٣/ ٣٦).

الفوائـد والعبـر:

١ـ الاستطلاع وبث العيون قبل الحرب والاستفسار عن قوة الأعداء للاستعداد.

٢ـ استعجال المؤمن لثواب الله سبحانه.

٣ـ شحذ الهمم والترغيب في الجنة ورفع المعنويات من وسائل النصر المهمة.

٤ـ الدعاء عند اشتداد الكرب والشدة والحرب.

٥ـ قد يضطر المسلم لقتال الأقارب دفاعا عن الدين.

٦ـ جواز المبارزة بإذن الإمام قال الخطابي في معالم السنن (٣/ ١١٩): "فيه من الفقه إباحـة المبارزة في جهاد الكفار، ولا أعلم اختـلافا في جوازها إذا أذن الإمام فيهـا، وإنما اختلفوا فيها إذا لم تكن عن إذن من الإمـام فكره سفيان

الثوري وأحمد وإسحاق أن يفعل ذلك إلا بإذن الإمام وحكى ذلك أيضا عن الأوزاعي، وقال مالك والشافعي: لا بأس بها كانت بإذن الإمام أو بغير إذنه، وقد روي ذلك عن الأوزاعي.

قلت: [أي الخطابي] قد جمع هذا الحديث معنى جوازها بإذن الإمام وبغير إذنه، وذلك أن مبارزة حمزة وعلي رضي الله عنهما كانت بإذن النبي ﷺ، ولم يذكر فيه إذن من النبي ﷺ للأنصاريين الذين خرجوا إلى عتبة وشيبة قبل علي وحمزة ولا إنكار من النبي ﷺ عليهم في ذلك.

وفي الحديث من الفقه أيضًا أن معونة المبارزة جائزة إذا ضعف أو عجز عن قرنه، ألا ترى أن عبيدة لما أثخن أعانه علي وحمزة في قتل الوليد.

واختلفوا في ذلك فرخص فيه الشافعي وأحمد وإسحاق، وقال الأوزاعي: لا يعينونه عليه لأن المبارزة إنما تكون هكذا" انتهى.

٧- فراسة النبي ﷺ.

٨- "ولله جنود السموات والأرض".

١٩- من دلائل النبوة (رد عين قتادة)

* عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعاه فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أيّ عينيه أصيب![١]

وفي رواية: فكانت أحسن عينيه.

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك:

أنا ابنُ الذي سالَتْ على الخدِّ عينُه   فرُدَّت بكفِّ المصطفى أيما رَد

فقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله عند ذلك، منشدا قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يَزن، فأنشده عمر في موضعها حقا:

تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ   شيِّبَا بماء فعادا بعدُ أبوالا

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه أبوعوانة وقواه الألباني.

تخريج الحديث:

- أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٩٩، ١٠٠) وأبويعلى في مسنده (٣/١٥٤٩) وفيه يحيى ابن عبدالحميد الحماني متهم بسرقة الحديث قال الهيثمي في المجمع (٨/٢٩٧، ٢٩٨): "في إسناد أبي يعلى يحيى بن عبدالحميد الحماني وهو ضعيف". =

الفوائد والعبـــر:

١ـ جواز الافتخار بالمواقف الجهادية للدفاع عن حرمة الدين.

٢ـ من دلائل نبـوته ﷺ، ومن فوائد ما نقـل أبونعيم في دلائل النبـوة قوله (٢/ ٦٢٧): منها ما أراهم الله عز وجل من رده ﷺ حدقة قتادة بن النعمان إلى موضعـها بعد سقـوطها، حتى كانت أحسن عـينيه وأحدهما، فـثبتت الدلالة فيه من وجهين.

وقال (٢/ ٧٨٥): فإن قيل: إن عيسى كان يُـبرئ العُميان والأكمه والأبرص بإذن الله.

= ـ قلت: لكن أخرجه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا وهو مرسل صحيح

– وأخرجه أبونعيم (٤١٦) من طريق يوسف بن بهلول ثنا عبدالله بن إدريس عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان به.

وهذا سند حسن لولا عنعنة ابن إسحاق، فالأصح أنه ابن إسحاق عن عاصم مرسلاً.

قال شيخنـا العلامة الألباني في تعليقه على بداية الـسول (٤٢): "قلت: لكنه عند أبي نعيم (ص ٤١٨) من طريقين فهو يتقوى بهما" انتهى.

– وأخرجه أبو عـوانة في صحيحـه (٤/ ٣٥٢) من طريق عبدالرحمن بن الغسـيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده به.

ورجاله لا ينزلون عن مـرتبة الحسن إلا (عمر) أبوه، وهو أبوعـاصم تابعي روى هذا الحديث عن أبيه، ورواه عنه ابنه قـال الحافظ في التقريـب: مقبول، فـمثله يحسن العلماء حـديثه (راجع المقدمة).

– أما عبدالرحمن بن الغسيل فهو من رجال البخاري، والكلام فيه ليس كالكلام في ابن إسحاق، لذلك روايته عن عاصم عن أبيه عن جده أولى من رواية ابن إسحاق عن عاصم مرسلاً.

قلنا: إن قتادة بن النعمان نَدَرَت حَدَقَتُه يوم أُحد من طعنة أصيب في عينه، فأخذها رسول الله ﷺ فردَّها فكان لا يدري أيّ عينيه أُصيب وكان أحسن عينيه وأحدهما".

وقال (٢/ ٧٨٦): "وتفل في عين عليّ يوم خيبر وهو أرمد فبرئ من ساعته، وما اشتكى عينه بعد ذلك".

٢٠- مصرع أبي جهل لعنه الله

* عن عبدالرحمن بن عوف، قال: إني لواقفٌ يومَ بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٌ أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضْلَع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أُخبرت أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سوادَه حتى يموت الأعْجَلُ منَا. فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي أيضًا مثلها. فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه. فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله؟». قال كلٌّ منهما: أنا قتلته. قال: «هل مسحتما سيفيكما» قالا: لا. قال: فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: «كلاهما قتله» وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والآخر معاذ بن عَفْراء [1].

* عن عبدالرحمن قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمَنْ بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدتُ الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله. قال: فما سرَّني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشَدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه هما ابنا عفراء [2].

* عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ «من ينظر ماذا صنع أبوجهل؟» قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عَفراء

حتى بَرد. قال: فأخـذ بلحيته قال فقلت: أنت أبوجـهل؟ فقال: وهل فوقَ رجل قتلتموه. أو قال: قتله قومه! [٣].

* عن ابن مـسعـود، أنه أتى أبا جهل فـقال: هل أخـزاك الله؟ فقـال: هل اعْمَدَ من رجل قتلتموه! [٤].

تخريج الحديث:

١- أخرجه أحمد (١/ ١٩٢، ١٩٣) والبخاري (٦/ ٢٤٦، ٧/ ٢٩٤ الفتح) ومسلم (١٧٥٢).

٢- أخرجه البخاري (٧/ ٣٠٧، ٣٠٨ الفتح).

٣- أخـرجـه أحـمـد (٣/ ١١٥، ١٢٩، ٢٣٦) والبـخـاري (٧/ ٢٩٣، ٣٢١ الـفـتح) ومـسلم (١٨٠٠).

٤- أخرجه البخاري (٧/ ٢٩٣ الفتح).

غريب القصـة:

- **أضلع**: من الضلاعة وهي القوة.
- **أبوجهل**: هو عمرو بن هشام المخزومي حامل لواء الكفر في مكة فرعون هذه الأمة كان يكنى بأبي الحكم، ولما سطعت شمس الإسلام انقلبت هذه الكنية إلى أبي جهل قال حسان:

الناس كنَّوْهُ أبا حكَم   واللهُ كنّاهُ أبا جهلِ

- **أنشب**: أي لم ألبث.
- **الصقرين**: تثنيـة صقر، وهو من سـباع الطير وأحد الجـوارح الأربعة وهي الصقـر والبازي والشاهين والعـقاب وشبـههمـا به لما اشتـهر عنه من الشجاعـة والشهامة والإقدام على الصـيد، ولأنه إذا نشبت بشيء لم يفارقه حتى يأخذه (الفتح ٧/٣٠٨).
- **سلَبه**: ما يوجد عند المحارب من ملبوس وغيره عند الجمهور وعن أحمد: لا تدخل الابة، وعن الشافعي يختص بأداة الحرب.
- **ابنا عفراء**: هما معاذ ومعوذ، وعفراء هي بنت عبيد الأنصارية.
- **حتى برد**: أي حتى سكن، وفي رواية حتى (برك).

الفوائـد والعبـر:

١ـ من لم يخمس الأسلاب (قاله البخاري).

٢ـ قوله "كلاكـما قتله" حتى لا يخـيب الآخر في شجاعتـه وقوته، وإن كان أحدهما هو الذي أثخنه بالقتل.

٣ـ الرسول عليه الصلاة والسلام يسأل عن سبب يبشر من خلاله المسلمون.

٤ـ نهاية الظلمة الذل والعار والخزي في الدنيا والآخرة.

٥ـ المسلم في الدفاع عن الحق كالصقر في سرعة انقضاضه.

٦ـ ما كان عليه صغار الصحابة من البطولة والشجاعة.

٧ـ تأخر مصرع أبي جهل حكمة ربانية ليرى بعينه الذل والمهانة على يد من كان يستضعفهم في مكة.

٢١- إسلام عمير بن وهب رضي الله عنه

* عن عروة بن الزبير، قال: جلس عُمير بن وهب الجمحي مع صفوان ابن أمية في الحجر بعد مُصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر.

قال ابن هشام: والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُريق.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة فذكر أصحاب القَليب ومُصابهم، فقال صفوان: والله ما إنْ في العيش بعدهم خير قال له عُمير: صدَقْتَ، أما والله لولا دَيْن عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بَعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علةً، ابني أسير في أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال. عليَّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

فقال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك. قال: سأفعل.

قال: ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحًا السيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرَّش بيننا وحَزَرنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسـول الله ﷺ فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عُـمير بن وَهْب قد جـاء متوشحـا سيفه. قـال: فأدخله عليّ، قال: فـأقبل عُمر حـتى آخذ بحمـالة سيفه في عنقـه فلبَّبه بهـا، وقال لمن كان معـه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون.

ثم دخل به على رسـول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله وعـمر آخذ بحـمالة سيفـه في عنقه قال: «أرسله يا عـمر، ادْنُ يا عميـر» فدنا ثم قال: أنعم صـباحًا. وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم. فقال رسـول الله: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيـتك يا عميـر، بالسلام تحيـة أهل الجنة» قال: أمـا والله يا محمـد إن كنت بها لحديث عهد.

قال: « فما جـاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهـذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: «فما بال السيف في عنقك؟»

قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئًا!.

قال: «اصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: «بل قـعدت أنت وصـفوان بن أميـة في الحجْر، فـذكرتما أصـحابَ القليب من قـريش، ثم قلت: لولا دَين عليّ وعـيال عندي لخـرجت حتى أقـتل محـمدًا، فتـحمَّل لك صـفوان بن أميـة بدين وعيالك، على أن تـقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك».

فقـال عمير: أشـهد أنك رسول الله، قد كـنا يا رسول الله نكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلا أنا

وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المسَاقَ. ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: «فقِّهوا أخاكم في دينه، وعلِّموه القرآن واطلقوا أسيره» ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم.

قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة.

وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر.

وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف ألا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بنفع أبدًا.

قال ابن إسحاق: فلما قدم عُمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدًا، فأسلم على يديه ناس كثير.

درجة الحديث:

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وهو حسن.

تخريج الحديث: له أربعة طرق:

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣١٦-٣١٨) من طريق محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير مرسلا.

قلت: وهذا سند حسن مرسل.

(٢) وأخرجه الطبراني (١٧/ ٥٩-٦١) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا.

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٨٦): "رواه الطبراني مرسلا وإسناده جيد".

(٣) وقال الحافظ في الإصابة في ترجمة عمير بن وهب (٣/ ٣٧): "وهكذا ذكره أبوالأسود عن عروة مرسلا أ.هـ.

(٤) وقال الحافظ: وجاء من وجه آخر موصولا أخرجه ابن منده، والطبراني من طريق عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس" انتهى.

وهذا سند حسن.

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٨٧): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

غريب القصـة:

- **عمير بن وهب:** صحـابي من الشجعـان، ستأتي ترجـمته قـريبًا في إعطاء الأمان لصفوان بن أمية رقم (٤٩).
- **حرزنا**: قدرنا.
- **لببّه**: أي جمع عليه سلاحه وقبض عليه قال ابن الأثير في النهاية: (٤/ ٢٢٣) "لَبَبتُ الرجل ولَبَّبتُه إذا جـعلت في عنقه ثوبا أو غيـره وجررته به، وأخذتُ بتلبيب فـلان إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسُـه وقبضت عليه تَجُرّه، والتلبيب مجمع ما في موضع اللَبَب من ثياب الرجل".

الفوائـد والعبـر:

١ـ اتخاذ الحيطة من غدر الأعداء واجب.

٢ـ عدم قبول الرسول ﷺ غير تحية الإسلام.

٣ـ عصمة الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

٤ـ السلام تحية أهل الجنة.

٥ـ الإيمان يغير الإنسان من حال إلى حال.

٦ـ "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام".

٧ـ سماحة الرسول الكريم ﷺ.

٨ـ حسن خلق الرسول عليه الصلاة والسلام حتى مع أعدائه.

٩ـ من دلائل نبوة الرسول ﷺ.

٢٢- زينب بنت رسول الله وزوجها أبو العاص بن الربيع

* عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب ابنة رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا» فقالوا: نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليه الذي لها [1].

* عن عائشة «أن رسول الله ﷺ لما أن قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة أو ابن كنانة فخرجوا في إثرها، فأدركها هبَّار بن الأسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها، وألقت ما في بطنها، وأهريقت دمًا، فتحملت فاشتجر فيها بنو هاشم، وبنو أمية، فقالت بنو أمية: نحن أحق بها وكانت تحت أبي العاص، وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول لها هند: هذا في سبب أبيك. قالت: فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «ألا تنطلق فتجيء بزينب»؟ فقال: بلى يا رسول الله، قال: «فخذ خاتمي فاعطها إياه»، فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعيًا، فقال: لمن ترعى؟ قال: لأبي العاص، قال: فلمن هذه الغنم؟ قال لزينب بنت محمد، فسار معه شيئًا. ثم قال: هل لك إن أعطيتك شيئًا تعطها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم، فأعطاه الخاتم وانطلق الراعي، فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته، فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل، قالت: وأين تركته؟ قال بمكان كذا وكذا، فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته قال لها: اركبي بين يدي على بعيره، فقالت: لا ولكن أركب أنت بين يدي، فركب وركبت وراءه، حتى أتت المدينة، فكان

رسول الله ﷺ يقول: «هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ» (٢).

* «ولم يزل أبوالعاص مقيما على شركه حتى إذا كان قبيل فتح مكة خرج بتجارة إلى الشام بأموال من أموال قريش أبضعوها معه فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله ﷺ وقيل إن رسول الله ﷺ كان هو الذي وجه السرية للعير التي فيها أبوالعاص قافلة من الشام وكانوا سبعين ومائة راكب أميرهم زيد بن حارثة وذلك في جمادى الأولى في سنة ست من الهجرة فأخذوا ما في تلك العير من الأثقال وأسروا أناسا من العير فاعجزهم أبوالعاص هربا فلما قدمت السرية بما أصابوا أقبل أبوالعاص من الليل في طلب ماله حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ﷺ فاستجار بها فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح فكبر وكبر الناس معه» (٣).

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: صرخت زينب رضي الله عنها أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال: فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل على الناس فقال: «أيها الناس هل سمعتم ما سمعت» قالوا: نعم قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم أنه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: «أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له» (٤).

* عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك وإن أبيتم ذلك فهو فيئ الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به» قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه قال: فردوا عليه ماله حتى أن الرجل ليأتي بالحبل ويأتي الرجل بالشنة والإداوة حتى

أن أحدهم ليأتي بالشطاط حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان ابضع منه، ثم قال: يا معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرًا فقد وجدناك وفيا كريما قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،وما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت أخذ أموالكم فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ [٥].

*** عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "بَعثَنا رسول الله ﷺ في بعثٍ فقال: إن وجدتم فلانًا وفلانًا فأحرقوهما بالنار، ثم قال رسول الله ﷺ حينَ أردْنا الخروج: إني أمَرتُكم أن تُحرقوا فلانا وفلانا، وإنَّ النار لا يعذّبُ بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتُلوهما" [٦].**

تخريج الحديث:

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٦) من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عائشة.

وهذا سند حسن رجاله ثقات إلا ابن إسحاق فإنه صدوق مدلس وقد صرح بالتحديث،وهذا الحديث قواه ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٢٢).

(٢) أخرجه الدولابي في الذرية الطاهرة (٥٣) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٣١-٤٣٢) والحاكم (٤/ ٤٣, ٤٤) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٤, ٤٥) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٥٦, ١٥٧) والبزار (٢٦٦٦ كشف) من طريق يحيى بن أيوب حدثني يزيد بن الهاد حدثني عمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة.

وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: هو خبر منكر، ويحيى ليس بالقوي". =

غريب القصـة:

- **زينب:** هي أكبر بنات رسـول الله ﷺ ، وأمها خديجة بنت خـويلد تزوجها في حياة أمـها ابن خالتهـا أبوالعاص فولدت له أمامـة التي تزوج بها علي بن أبي طالب بعد فاطمة، أسلمت زينب، وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين، عاشت نحو ثلاثين سنة ثم توفيت سنة ثمان من الهجرة وغسلتها أم عطية رضي الله عنها [السير ١/ ٣٣٤- ٢/ ٢٤٦].

= قلت: لكن الذهبي قـال عن يحـيى هذا في كتـابه ديوان الضـعفـاء (ثقة)، وقـال عنه في الكاشف. "أحد العلماء صالح الحديث".

وأما عمـر بن عبدالله فقد احتج به البـخاري ومسلم. وقال عنه الحافظ ابن حـجر في الفتح (١٠/ ٣٧١): "مدني ثقة قليل الحديث ما له في البخاري إلا هذا الحديث الواحد، وقد ذكره ابن حبان في أتباع التابعين من الثقات".

وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢١٣): "رواه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح"، فالسند صحيح.

(٣) انظر تخريج الفقرة رقم (١).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٦) من طريق ابن إسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة.
وهذا الحديث سنده حسن، وقواه ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٢٢)
وأخرجه الطبراني من طريق أم سلمة، وقال الهيثمي: (٩/ ٢١٣) رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".

(٥) أخرجه الحـاكم (٣/ ٢٣٧) من طريق ابن إسحاق حـدثني عبدالله بن أبي بكر بن محـمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة.
وهذا أيضًا سنده حسن رجاله ثقات عدا ابن إسحاق فهو صدوق مدلس وقد صرح بالتحديث، وقواه ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٢١).

(٦) أخـرجـه أحمـد (٢/ ٣٠٧، ٣٣٨، ٤٥٣) والبـخـاري (٦/ ١٤٩ فـتح) وأبوداود (٢٦٧٤) والترمذي (١٥٧١) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٠/ ١٠٦).

تنبيه: بعض الروايات المذكورة في هذه القـصة ليست في الأصل، وإنما اضفناها هنا للفـائدة كما ذكرنا ذلك في المقدمة.

- **أبوالعاص**: هو بن الربيع القرشي العبشمي، صهر رسول الله ﷺ، وأمه هالة، وقيل هند بنت خويلد أخت خديجة، اختلف في اسمه، والأكثر أنه لقيط، ولد له من زينب علي وأمامة، توفي سنة اثنتي عشرة [أسد الغابة ٦/ ١٨٥].
- **قلادة**: ما يجعل في العنق من الحلي ونحوه.
- **كنانة**: هو كنانة بن عدي ابن عم أبي العاص.
- **العير**: بكسر العين ما جُلِبَ عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير.
- **الشنة**: الشَّنُّ يقال قوس شنة عتيقة.
- **الاداوة**: إناءٌ صغير يحمل فيه الماء.
- **الشطاط**: خشبة محددة الطرف تدخل في عروتي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير.
- **فلانا وفلانا**: الأول هو هبار بن الأسود، وسمى ابن السكن الثاني بأنه نافع ابن عبد قيس، قال ابن حجر: كذلك هو في النسخ المعتمدة من مسند البزار، وكذلك أورده ابن بشكوال من مسند البزار، وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه من طريق ابن لهيعة (الفتح ٦/ ١٥٠).

قلت: هبار هذا أسلم، وعاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه.

الفوائد والعبر:

١ـ جواز تبادل الأسرى.

٢ـ حب الرسول لخديجة رضي الله عنها.

٣ـ الإعانة والهدية في العرس لها في النفوس مكانة خاصة.

٤ـ التلطف وسيلة من وسائل الوصول إلى الهدف.

٥ـ تقدم الرجل على المرأة في المسير أتقى وأكثر حياءا.

٦ـ منزلة زينب في قلب النبي ﷺ.

٧ـ جواز الإجارة.

٨ـ جواز القسم لتأكيد الأمر.

٩ـ في القصة دليل على عدم علم الرسول بالغيب.

١٠ـ الإحسان والكرم وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

١١ـ من مناقب أبي العاص.

١٢ـ جواز الحكم بالشيء اجتهادا ثم الرجوع عنه.

١٣ـ استحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الالتباس، والاستنابة في الحدود ونحوها.

١٤ـ طول الزمان لا يرفع العقوبة عمن يستحقها.

١٥ـ فيه كراهة قتل مثل البرغوث بالنار.

١٦ـ فيه نسخ السنة بالسنة وهو اتفاق.

١٧ـ فيه مشروعية توديع المسافر لأكابر أهل بلده، وتوديع أصحابه له أيضا.

١٨ـ جواز نسخ الحكم قبل العمل به أو قبل التمكن من العمل به (من ١٢ إلى ١٨ من الفتح ٦/ ١٥٠).

٢٣- قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود لعنه الله

* عن جابر بن عبدالله يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله». فقام محمد بن مَسْلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: فَأْذن لي أن أقول شيئًا. قال: «قل».

فأتاه محمد بن مَسْلَمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنَّانا وإني قد أتيتك أستَسْلفك. قال: وأيضًا والله لتملُّنَّه.

قال: إنّا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن نَدَعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تُسْلفنا.

قال: نعم أرْهِنوني. قلت: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم.

فقالوا: كيف نُرْهنك نساءنا وأنت أجمل العرب! قال: فأرهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نُرْهَنك أبناءنا فيُسَبَّ أحدهم فيقال: رُهن بوسَق أو وسقين! هذا عارٌ علينا، ولكن نُرْهنك اللأمة، قال سفيان: يعني السلاح.

فواعده أن يأتيه ليلا، فجاءه ليلا ومعه أبونائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو: قالت: أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مَسلمة ورضيعي أبونائلة. إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليلٍ لأجاب!

قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني مائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال: مرة، ثم أشمكم.

فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا. أي أطيب. وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب.

قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشَمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشمَّه ثم أشَمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم. فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (٥/ ١٤٢، ٦/ ١٥٩، ١٦٠، ٧/ ٣٣٦ الفتح) ومسلم (١٨٠١) وأبوداود (٢٧٦٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٢/ ٢٥٣) من طرق عن سفيان عن عمرو عن جابر (فذكره).

غريب القصـة:

ـ **كعب بن الأشرف**: عدو الله من قبيلة طيء، وأن والده الأشرف كان أحد بني نبهان، وهم بطن من طيء ثم إنه أصاب دمـا في قومه، فهرب منهم وفر إلى يهود بني النضير في المدينة وتحالف معهم وتزوج منهم عقيلة بنت أبي الحـقيق، واغـتنى فيـهم، فـولد له كعب الذي ترعـرع في أحضـان اليهود وشرب منهم العـداوة والبغضـاء لهذا الدين الحنيف، كان شاعرا هجـاءا جسيما ذا بطن وهامة؛ جمـيلا غنيا، ومن عداوته أنه يصد الـيهود عن الإسـلام وصدق بعـثة النبي ﷺ، وحـزن أشدّ الحـزن لما انتـصـر المسلمـون في بدر، وأخـذ يرثي قـتلى المشـركين ويمدحهم ويحرض على المسلمين ويشـتم رسول الله ﷺ، وقد سجل القرآن الكريم قبـح طويته، وسوء حكمه عندما ذهـب إلى مكة فأخذ كفارها يسألونه أينا أهدى نحن أم محمد (ﷺ)؟

قـال تعالى: (ألـم تر إلى الذين أوتوا نصـيبـا من الكتـاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سـبيـلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجـد له نصيـرا) [النساء: ٥١، ٥٢].

وكان لعنه الله يثـبط المؤمنين عن الانفاق في سبيل الله، ولقـد عاهد هذا اليهودي رسول الله ﷺ أن لا يعين عليه ولا يقاتله، ولكنه نقض العـهد ونزل بعـداوته إلى القـدح بالأعـراض وراح يشبب في نسـاء الصـحابة ويتـغزل بهن حـتى آذاهم عليه لعنة الله، وعندها غـضب الحليم لله وقال: (من لكعب بن الأشرف؟).

- **محمـد بن مسلمة** : رضي الله عنه من فضلاء الصحـابة شهد بدرا والمشاهد كلها. قيل استخلفه النبي ﷺ في بعض غزواته؛ اعتـزل فتنة الجمل وصفين؛ مات بالمدينة وصلى عليه مروان بن الحكم.
- **عنانا**: أي أتعبنا قال النووي: وهذا من التعريض الجائز، بل من المستحب لأن معناه في البـاطن أنه أدبنا بآداب الشرع التي فيـها تعب لكنه تعب في مرضـاة الله تعالى، فهو مـحبوب لنا والذي فـهم المخاطب هو العناء الذي ليس بمحبوب.
- **لتملنه**: أي لتضجرن منه.
- **ائذن لي أن أقول شيئا**: أي من باب المصلحة من التعريض وغيره.
- **الوسق**: مفرد أوسق، وأوساق، ووسوق مكيلة معلومة، وهي ستون صاعا.
- **اللأمة**: الدرع وقيل السلاح كما فسره الراوي.
- **عمرو**: هو ابن دينار راوي الحديث ثقة ثبت.
- **سفيان**: هو سفيـان بن عيينة بن أبي عـمران راوي الحديث المحدث والفـقيه المشهور.
- **متوشحا**: أي لابسا ثوبه وسلاحه.

الفوائـد والعبـر:

١- إسقاط الحـرج عمن تأول الكلام فأخبـر عن الشيء بما لم يكن إذا كان يريد بذلك استصـلاح أمر دينه أو الذب عن نفسه وذويه ومـثل هذا الصنيع جائز في الكافر الذي لا عهد له (قاله الخطابي ٣/ ٢١١).

٢- الكذب في الحرب (قالـه البخاري) قال ابن حجـر: والذي يظهر أنه لم يقع منهم فيمـا قالوه بشيء من الكذب أصـلا وجميع ما صـدر منهم تلويح كما سبق لكن ترجم بذلك لقول محـمد بن مسلمة للنبي ﷺ أولا "ائذن لي أن أقول، قال: قل" فإنه يدخل فيه الاذن في الكذب تصريحا وتلويحا.

٣- الفتك بأهل الحـرب (قاله البخاري) قـال ابن حجر: أي جواز قـتل الحربي سـرا، وإنما فـتكوا به لأنه نقض العـهـد، وأعـان على حـرب النبي ﷺ، وهجـاه، ولم يقع لأحد ممن توجـه إليه تأمين له بالتـصريح، وإنما أوهـموه ذلك وآنسوه حتى تمكنوا من قتله.

٤- تأثر النساء بالرجل الجميل فإنهم قـالوا له: (وأنت أجمل العرب) إما تهكما أو أنه جميل في نفسه؛ قلت: والثانية أقرب.

٥- جواز قـتل المعاهد إذا نقـض العهد؛ قـال العيني (١٣/ ٧١): "فـإن قلت: كيف قتلوا كعبا على وجه الغرة والخداع؟ قلت: لما قدم مكة وحرض الكفار على رسول الله ﷺ وشـبب بنساء المسلمين فـقد نقض العـهد، وإذا نقض العهـد فقد وجب قتله بأي طريق كـان، وكذا من يجري مجـراه كأبي رافع وغيره". قلت: وسيأتي قريباً قصة مقتل أبي رافع اليهودي برقم (٣١).

٦ـ جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته.

٧ـ جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته (٦-٧ من الفتح).

٨ـ قتل من سب النبي ﷺ سواء كان معاهدا أو غير ذلك.

٩ـ سوء طوية اليهود وحقدهم وغدرهم.

١٠ـ اتخاذ الأسباب الموصلة للهدف.

٢٤- أنس بن النضر رضي الله عنه في أحد

* عن أنس، أن عمه غاب عن قتال بدر، فـقال: غِبْتُ عن أول قتال قاتلَه النبي ﷺ للمشركين، لئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليَرَيَنَّ ما أصنع.

فلما كان يوم أُحـد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعتـذر إليك عما صنع هؤلاء، يعني أصـحابه، وأبرأ إليـك مما جاء به هؤلاء، يعني المشـركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أُحد فـقال سعد: أنا معك. قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع.

فوجد فيه بضع وثمانون، من بين ضربةٍ بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم.

قال: فكنا نقول: فيه وفي أصحـابه نزلت: (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) [1]. [الأحزاب:٢٣].

* عن أنس: عمي. قال هاشم: أنس بن النضر. سمِّيتُ به، ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يومَ بدر. قال: فـشَقَّ عليه وقال: أولُ مَشْهد شـهده رسول الله ﷺ غِبْتُ عنه، ولئن أراني الله مشهدا فيـما بعدُ مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها.

فشهد مع رسول الله ﷺ يـوم أُحد، قال: فاستقبل سعدَ بـن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عـمرو أين؟ واهًا لريح الجـنة أجده دون أُحـد. قال: فـقاتَلهم حـتى قُتل، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من ضربة وطعنة ورمية.

قال: فـقالت أختـه عمتي الرُّبَيِّعُ بنتُ النَّـضْرِ: فما عـرفتُ أخيَ إلا ببنانه.

ونزلت هذه الآية: ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه (٢).

درجة الحديث عند أهل العلم:

قال الترمذي: حسن صحيح، وقال ابن كثير: بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه.

غريب القصة:

- **هاشم**: راوي الحديث.
- **سعد بن معاذ**: الأنصاري، أبوعمرو، سيد الأوس، شهد بدراً، واستشهد من سهم أصابه بالخندق، ومناقبه كثيرة، وله قصة رائعة في هذا الكتاب برقم (٣٠).
- **واهاً لريح الجنة**: كلمة تحنن وتلهف.
- **بنانه**: أطراف الأصابع.

تخريج الحديث:

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٠١) والترمذي (٣٢٠١) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١/ ٢١٣) من طريق يزيد بن هارون أخبرنا حميد بن أبي حميد عن أنس (فذكره).

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال ابن كثير: بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه.

قلت: وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٥٨)، وانظر البخاري (٦/ ٢١، ٧/ ٣٥٤، ٨/ ٥١٨ الفتح) ومسلم (١٩٠٣) من طرق عن حميد الطويل به.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٤) ومسلم (١٩٠٣) والترمذي (٣٢٠٠) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١/ ١٣٥) من طرق عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس (فذكره).

الفوائـد والعبـر:

١ـ الوفاء بالعهد دليل على إيمان العبـد قال تعالى: ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا مـا عاهدوا الله عليـه فـمنهم من قضـى نحبـه ومنهم من ينتظر ومـا بدلوا تبديلا ﴾.

٢ـ تمنى الصحابة الدفاع عن الإسلام، وأسفهم على ما فات.

٣ـ ثبوت الجنة للشهيد (قاله المنذري).

٤ـ الشوق إلى الجنة يدفع الإنسان إلى التضحية في سبيل الله.

٢٥- من روائع الأحداث في غزوة أحد

* عن ثابت، عن النبي، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيف»؟ فأخذ قومٌ فجعلوا ينظرون إليه، فقال: «من يأخذه بحقه»؟ فأحجم القومُ، فقال أبو دُجَانة سِمَاك: أنا آخذه بحقه، فأخذه ففلَق به هام المشركين [١].

* عن أبي هريرة، أنه كان يقول: حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ قط.

فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول: أُصَيْرم بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وَقْش.

قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأُصَيرم؟ قال: كان يأبى الإسلامَ على قومه، فلما كان يوم أُحد بدا له فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عُرْض الناس، فقاتلَ حتى أثبتَتْه الجراحةُ. قال: فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا الأُصَيرم ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لَمُنكر لهذا الحديث. فسألوه فقالوا: ما جاء بك يا عمرو أَحَدَبٌ على قومك أم رغبةٌ في الإسلام؟

فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني.

فلم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه من أهل الجنة» [٢].

* قال ابن إسحاق: وحدثني أبي، عن أشياخ من بني سلمة، قالوا: كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسْد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهدَ، فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه وقالوا: إن الله قد عذَرك. فأتى رسولَ الله ﷺ وقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطَأ بعَرْجتي هذه الجنة!

فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة».

فخرج معه فقُتل يوم أُحد رضي الله عنه. [٣]

* عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أُقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟، وكانت رجله عرجاء فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقتلوا يوم أُحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» فأمر رسول الله بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد. [٤]

تخريج الحديث:

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٣) ومسلم (٢٤٧٠) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٣٢) والحاكم (٣/ ٢٣٠) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٥٦).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٣/ ٩٥) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٢٠٢) من طريق ابن إسحاق قال حدثني الحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة.

قال ابن حجر في الاصابة (٣/ ٥١٩): "هذا إسناد حسن رواه جماعة من طريق ابن إسحاق". =

*** عن سعد بن أبي وقاص، قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدَك جلل.** (٥)

= (٣) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٣/ ٩٦) وسنده حسن إن كان الاشياخ من الصحابة، وإلا فهو مرسل عن مجموعة من التابعين ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٩) من طريق حميد بن زياد أن يحيى بن النضر حدثه عن أبي قتادة (فذكره).

وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٢١٦) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣١٥): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نضر الأنصاري وهو ثقة».

وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة (٢٨٢).

(٥) أخرجه ابن إسحاق كما في البداية والنهاية من طريق عبدالواحد بن أبي عون عن إسماعيل عن محمد عن سعد بن أبي وقاص.

وإسماعيل هو ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص، ومحمد هذا أبوه، وهما ثقتان، وهذا سند حسن من أجل عبدالواحد إذ قال فيه الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ.

(تنبيه) عند ابن هشام في السيرة (٣/ ١٠٥) إسماعيل بن محمد عن سعد؛ دون ذكر أبيه، وفي مغازي الذهبي عن إسماعيل بن محمد كانت امرأة من بني.. ؛ دون ذكر لأبيه ولا لجده سعد، والله أعلم بالصواب.

غريب القصـة:

ـ **أحجم القوم**: أي تأخروا وكفّوا.
ـ **أبو دجانة**: هو سماك بن خرشة الأنصاري انظر "الإصابة" [٤/٥٨].
ـ **ففلق به هام المشركين**: أي شق رؤسهم.
ـ **أثبتته**: حبسته وجعلته ثابتا في مكانه لا يفارقه.

الفوائـد والعبـر:

١ـ من فضائل أبي دجانة رضي الله عنه.
٢ـ التشويق أسلوب جميل للتعليم عن طريق السؤال والجواب.
٣ـ الأصيرم من المبشرين بالجنة.
٤ـ ﴿ليس على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرجِ حرجٌ﴾ [الفتح: ١٧].
٥ـ من فضائل عمرو بن الجموح، وشجاعة أبنائه.
٦- لا بأس أن يُدْفن في القبر اثنان أو أكثر عند الضرورة.
٧ـ من مناقب الصحابيات.
٨ـ حب الرسول مقدم على الأب والأخ والزوج والولد والنفس.

٢٦- مقتل خبيب رضي الله عنه

* عن أبي هريرة، قال: بعث النبي ﷺ سرية عَينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جَدُّ عاصم بن عمر بن الخطاب.

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة، ذُكروا لحي من هُذَيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ، فاقتصُّوا آثارَهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزوَّدوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم.

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهدُ والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخْبر عنا رسولك.

فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنَّبْل.

وبقي خُبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهدَ والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلُّوا أوتارَ قسيِّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر! فأبَى أن يصحبهم. فجروه وعالجوه على أن يَصحبهم فلم يفعل، فقتلوه.

وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خُبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قَتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قَتْلَه استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحدُّ بها فأعارته.

قالت: فغفلتُ عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيتُه فزعتُ فزعة عرف ذلك مني، وفي يده الموسي فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.

وكانت تقول: ما رأيتُ أسيراً قط خيراً من خُبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ مِنْ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقًا رزقه الله.

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا ما بي جزعٌ من الموت لزدت. فكان أولَ من سَنَّ الركعتين عندَ القتل هو. ثم قال: اللهم أحْصِهم عَددًا واقتلهم بَدَدًا. ثم قال:

ولستُ أُبالي حين أُقتَل مُسْلما على أي شقٍ كان في الله مَصْرعي

وذلك في ذات الإله وإنْ يَشأ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمزَّعِ

قال: ثم قام إليه عُقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليُؤتَوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يومَ بدر، فبعث الله عليه مثلَ الظُّلَّة من الدَّبْر فحمته من رُسلهم فلم يَقْدروا منه على شيء. (1)

* عن عقبة بن الحارث، قال: سمعته يقول: والله ما أنا قتلت خبيبًا، لأنا كنت أصغر من ذلك، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحَرْبة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله. (2)

غريب القصـة:

- **سرية**: طائفة من أنفس الجيش.
- **عُسفان**: قرية بين مكة والمدينة، وسميت بهذا الاسم لتعسف السيل فيها كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها.
- **بنو لحيان**: لحيان هو ابن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر.
- **فدفد**: رابية مشرقة أي مرتفعة.
- **أوتار قسيهم**: الأوتار جمع وتر والقسى جمع قوس.
- **استعار موسى**: الموسي آلة حادة يستحد بها أي يتطيب بها أي يحلق بها عانته.
- **فغفلت عن صبي لي فدرج**: أي عن سهو منها حتى أتاني هذا الصبي.
- **القطف**: العنقود من العنب.
- **أوصال شِلو مُـمزَّعِ**: الأوصال جمع وصل وهو العضو، والشلو الجسد، والممزع المقطع.
- **الظلة من الدَّبر**: السحابة، والدبر الزنابير.

تخريج الحديث:

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٥، ١٦٦، ٧/ ٣٠٨، ٣٧٨، ٣٧٩، ١٣/ ٣٨١ الفتح) وأبوداود (٢٦٦٠) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٠/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٢) ثنى يحيى بن عباد بن عبدالله عن أبيه عن عقبة به وسنده حسن.

الفوائـد والعبـر:

١ـ جواز اتخاذ العيون لمراقبة الأعداء.

٢ـ فيه من العلم أن المسلـم يجالد العدو إذا أزهق ولا يستأسـر له ما قدر على الامتناع منه، وإنما استـحد خبيب خوفا أن تظهـر عورته إذا صلبوه، ثم أنه من السنة، فاستعمله متجهزا للموت (قاله الخطابي) وقال ابن حجر: (للأسير أن يمتنع من قبـول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنـفة من أنه يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك وقال سفيان: أكره ذلك).

٣ـ حفظ الله للعبد المؤمن الصالح بعد وفاته.

٤ـ الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله.

٥ـ إثبات كرامة الأولياء.

٦ـ الدعاء على المشركين بالتعميم.

٧ـ الصلاة عند القتل.

٨ـ إنشاء الشعر وانشاده عند القتل.

٩ـ قوة يقين خبيب وشدته في الدين.

١٠ـ أن الله يبتلي عبده المسلم كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه.

١١ـ استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتا.

١٢ـ فيـه عـلامـة مـن علامـات نبوته بإجـابة دعوة عاصم بأن أخـبر الله نبـيه محمدا ﷺ بالخبر قبل بلوغه على ألسنة المخلوقين. (قاله العيني ١٤/ ٢٩٤).

---

(١) الفوائد من ٤-١١ من الفتح (٧/ ٣٨٤، ٣٨٥).

٢٧- الأعرابي الذي حاول قتل الرسول ﷺ

* عن جابر أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة في واد كثير العضاة، فتفرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله ﷺ تحت ظلّ شجرة فعلّق بها سيفه.

قال جابر: فنِمْنا نومةً فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه، وإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ : «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صَلْتًا» فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. «فشام السيف وجلس، ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك. (١)

* عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، فجاءه رجل من المشركين، وسيفُ رسول الله ﷺ معلّق بشجرة، فأخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله ﷺ: تخافني؟ قال: «لا».

قال: فمن يمنعك مني؟

قال: «الله يمنعني منك».

قال: فهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف وعلقه.

قال: ونودي بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين.

قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان. (٢)

غريب القصـة:

- **العضاة:** أشجار ذات شوك.
- **اخترط سيفي:** أي سَلَّه من غمده.
- **صلتا:** مسلولا مجردا.
- **فشام السيف:** أغمده.

الفوائـد والعبـر:

١- جواز اتخـاذ الحرس، أمـا ترك النبي ﷺ فلقوه يقـينه قال تعـالى: "والله يعصمك من الناس" قال ابن حجر: (٦/ ٩٨)، لكن قد قيل أن هذه القصة سبب نزول قوله تعالى: ﴿ والله يعصـمك من الناس ﴾ وذلك فيما أخرجه ابن أبي شيبـة من طريق محمد بن عمـرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال "كنا إذا نزلنا طلبنـا للنبي ﷺ أعظم شجـرة وأظلهـا، فنزل تحت شجـرة،

تخريج الحديث:

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣١١) والبخاري (٦/ ٩٦، ٩٧، ٧/ ٤٢٦ الفتح) ومسلم (٨٤٣) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٢/ ١٨٨).

(٢) أخرجه أحمـد (٣/ ٣٦٤) من طريق عفان ثنا ابان عن يحيى بن أبي كثـير عن أبي سلمة عن جابر (فذكره).

وأخرجه البخاري تعليقا بصيغة الجزم (٧/ ٤٢٦) وموصولا (٧/ ٤٢٩) ومسلم (٤/ ١٧٨٧).

فجاء رجل فأخذ سيفه فقال: يا محمد من يمنعك مني قال: الله. فانزل الله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ وهذا إسناد حسن، فيحتمل إن كان محفوظا أن يقال كان مخيرا في اتخاذ الحرس فتركه مرة لقوة يقينه، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك.

٢ـ ثقة النبي ﷺ بربه وتوكله عليه، وعصمة الله له من الناس قال الحافظ (٤٢٧/٧): "وفي قول النبي ﷺ في جوابه (الله) أي يمنعني منك إشارة إلى ذلك، ولذلك أعادها [1] الأعرابي فلم يزده على ذلك الجواب، وفي ذلك غاية التهكم به وعدم المبالاة به أصلا".

٣ـ فرط شجاعة النبي ﷺ ، وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال.

٤ـ جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم، وهذا محله إذا لم يكن هناك ما يخافون منه (رقم ٣, ٤ من الفتح ٤٢٨/٧).

---

(١) أي قوله: « من يمنعك مني » قالها ثلاثا كما في بعض الروايات.

٢٨- من معجزات الرسول يوم الخندق

* عن عبدالواحد بن أيمن، عن أبيه، قال: أتيت جابراً فقال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْية شديدة فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كُدْية عرضَتْ في الخندق، فقال: «أنا نازل». ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقا، فأخذ النبي ﷺ المِعْول فضرب فعاد كثيبًا أهْيَلَ أو أهْيَمَ.

فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت. فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبْر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعَناق، فذبحتُ العَناق وطحَنَت الشعير حتى جعلنا اللحم في البُرْمة، ثم جئت النبيَّ ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضَج، فقلت: طُعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: «كم هو»؟ فذكرت له، فقال: «كثير طيب، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبزَ من التنور حتى آتي». فقال: «قوموا». فقام المهاجرون والأنصار.

فلما دخل على امرأته قال: ويحك! جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: «ادخلوا ولا تَضَاغطوا»، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمِّر البُرْمة والتنور إذ أخذ منه، ويقرّب إلى أصحابه، ثم ينزع. فلم يزل يكسر الخبزَ ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية. قال: «كلي هذا وأهْدِي، فإن الناسَ أصابتهم مجاعة». (١)

تفرد به البخاري.

* عن جابر بن عبدالله قال: لما حُفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خَمصًا، فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمصًا

شديدًا؟ فأخرجَتْ لي جرَابًا فيه صاع من شعير ولنا بُهيمة داجن، فذبحتُها، فطحنت، ففرغَتْ إلى فَرَاغي، وقطعتها في بُرمتها، ثم ولَّيتُ إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررْته فقلت: يا رسول الله ذبحتُ بُهَيمةً لنا، وطحنتُ صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك. فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سُؤْرًا فحيهلاً بكم». فقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلن بُرْمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجئ».

فجئت وجاء رسول الله ﷺ يَقْدُم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك. فقلت: قد فعلتُ الذي قلت. فأخرجت لنا عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «ادع خبازةً فلتخبز معكَ، واقدحي من برمتك ولا تنزلوها».

وهم ألف، فأُقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لَتغطُّ كما هي وإن عجيننا كما هو. [٢]

* عن أبي سُكينة رجلٍ من المُحررِّين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبيُّ ﷺ بحفر الخندق عَرَضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحَفْر فقام رسول الله ﷺ وأخذ المِعْولَ ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: «تَّمت كلمةُ ربك صدقًا وعدلاً لا مُبَدل لكلماته وهو السميعُ العليم» فَنَدَرَ ثُلُثُ الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقةٌ، ثم ضرب الثانية وقال: «تَّمت كلمةُ ربك صدقًا وعدلاً لا مُبَدل لكلماته وهو السميعُ العليم» فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس.

قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربةً إلا كانت

معها برقة.

قال له رسـول الله ﷺ : «يا سلمان رأيت ذلك»؟ فقـال: إي والذي بعثك بالحق يا رسـول الله قال: «فـإني حين ضـربت الضربـة الأولى رُفعت لي مـدائنُ كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني».

قـال له من حضـره من أصـحابه يا رسـول الله ادع الله أن يفـتحـهـا علينا ويغنمنا ديارهم ويخـرب بأيدينا بلادهم فـدعا رسول الله ﷺ بذلـك، ثم ضرب الضربة الثانية فرُفعت لي مدائن الحبشـة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني قـال رسول الله ﷺ عنـد ذلك: «دعوا الحـبـشة مـا ودعـوكم واتركـوا الترك مـا تركوكم». (٣)

تخريج الحديث:

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٠، ٣٠١) والبخاري (٧/ ٣٩٥ الفتح).

(٢) أخـرجه البـخـاري (٦/ ١٨٣، ٧/ ٣٩٦ الفـتح) ومسلم (٢٠٣٩) من طـريق حنظلة بن أبي سفيان أخبرنا سعيد بن ميناء قال سمعت جابر (فذكره).

وأخرجه أحمد (٣/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق حدثني سعيد به.

(٣) أخرجه النسـائي (٣١٧٦) من طريق ضمرة عن أبي زرعة السَّيْبَاني عن أبي سُكينَةَ رجلٍ من المحُررين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ (فذكره) والشطر الأخير أخرجه أبوداود (٤٣٠٢).

ورجاله ثقات عدا ضمرة وهو ابن ربيعة قال الحافظ في (التقريب):

"صدوق يهم قليلا".

قلت: لكن وثقـه الإمام أحمـد وابن معين، لذلك قـال الذهبي: "مشهـور ما فـيه مغـمز" (والقول قولهم)، وأبو سُكينة مـختلف في صحبتـه، فالسند صحيح، وصحـحه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦) والله أعلم.

غريب القصـة:

- **كدية**: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس (النهاية ٤/ ١٥٦).
- **معصوب**: من العصابة وهي كل ما يربط به من عمامة أو منديل أو خرقة.
- **ذواقا**: أي لم نذق شيئا من طعام أو شراب.
- **الأهيل أو الأهيم**: شك من الراوي وتعنى صار رملا سائلا.
- **العناق**: الأنثى من ولد الماعز.
- **البرمة**: القدر، وهي من الحجر المعروف قديما بالحجاز.
- **انكسر**: أي لان وتَخّمر.
- **الأثافي**: الحجارة التي توضع عليها القدر.
- **طعيم**: تصغير طعام.
- **يخمر**: يغطي.
- **خمصا**: ضمور البطن من الجوع.
- **بهيمة داجن**: الصغيرة السمينة من الغنم التي تتربى في البيوت ولا تخرج للرعي.
- **سؤرا**: الصنيع من الطعـام الذي يدعي إليـه، واللفظ فارسي، ولهـذا ترجم البـخاري في الصـحيح باب: من تكلم بالفـارسيـة والرطانة (١٨٨) كتاب الجهاد.
- **اقدحي**: اغرفي.
- **انحرفوا**: أي مالوا عن الطعام.
- **تغط**: تفور بحيث يسمع لها غطيط.
- **فندر**: أي سقط.
- **دعوا الحبشة**: أي اتركوا الحبشة.

الفوائـد والعبـر:

١ـ القائد الناجح يشارك أصحابه وأتباعه العمل يجوع كما يجوعون ويحفر كما يحفرون ويقاتل كما هم يقاتلون، والأمة اليوم بحاجة إلي عاملين أكثر منها إلى منظرين؛ فتأمل.

٢ـ أدب الصحابة مع الرسول ﷺ وحياؤهم منه.

٣ـ ربط الحجر على البطن عند الجوع حماية للظهر من الانحناء قال العيني: (١٧/ ١٧٩) فإن قلت: ما كان فائدة ربط الحجر، فهل ذلك يدفع الجوع أم لا؟ قلت: قيل أن البطن يضمر من الجوع فيربط الحجر على البطن ليدفع انحناء الصلب لأن الجائع ينحني صلبه إذا اشتد به الجوع، وقال الكرماني: فائدته تسكين حرارة الجوع ببرودة الحجر أو ليعتدل قائما أو لأنها حجارة رقاق تشد العروق والأمعاء فلا ينحل مما في البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل".

٤ـ الاستئذان لترك العمل يغرس في العامل النظام، ويحقق النفع الكثير.

٥ـ حب الصحابة للنبي ﷺ.

٦ـ تكلم الرسول ﷺ بالفارسية دليل على معرفته ببعض الألسن.

٧ـ جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققا تاما (قاله المنذري) قلت: وفي هذا بيان أن ما يقوم به المتطفلين على موائد الغير وولائم الأعراس أمر يقدح في الأصول وليس من الصغائر كما يتصورون.

قال ابن الجوزي: "كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها قريبة، وهي تقدح في الأصول، كاستعارة طلاب العلم جزءا لا يردونه، وقصد الدخول على من يأكل معه، أو تناول طعام لم يُدْعَ الإنسان إليه، والتسامح بعرض العدو التذاذا بذلك واستصغارا لمثل هذا الذنب" (صيد الخاطر) وهذه كلمة نفيسة تكتب بماء الذهب.

٨- استحباب الاجتماع على الطعام (قاله المنذري).

٩- من معجزات الرسول ﷺ في غزوة الخندق.

أ- تكسيره للصخرة العظيمة.

ب - تكثيره الطعام.

١٠- لوم امرأة جابر رضي الله عنها لزوجها بقولها له (بك بك) وكما في الرواية الأخرى "لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه"، وفي هذا بيان للمتزوجين أن يسمع بعضهم لبعض، وأن تتسع الصدور، وعدم التعنت وإعجاب كلّ برأيه ولو كان على خطأ!.

١١- التعاون في الطبخ والضيافة أمر محمود وغير مذموم فانظر إلى الرسول القدوة كيف يقوم يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر ويقرب إلى أصحابه!!!

١٢- الرسول يعطي درسا إلى امرأة جابر ويغرس فيها جانب الكرم (كلي هذا وأهدي).

١٣- النهي عن تهييج الحبشة والترك.

٢٩- حذيفة رضي الله عنه في ليلة الأحزاب

* عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبدالله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم ياابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد. قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا!

قال: فقال حذيفة: ياابن أخي والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هَوِيًا من الليل ثم التفت إلينا فقال: «مَن رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القومُ ثم يرجع»؟ فشرط له رسول الله ﷺ الرَّجْعةَ، «أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة.» فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يَقم أحدٌ دعاني، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحْدثن شيئًا حتى تأتينا».

قال: فذهبت فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء، فقام أبوسفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة: فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال فلان بن فلان ؛ ثم قال: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُرَاع والخُف وأخْلَفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدْر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطْلَق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليَّ: لا تُحْدث شيئًا حتى تأتيني. لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلي رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مِرْط لبعض نسائه مُرحَّل، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لَفيه؛ فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعتْ غطفانُ بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم. (١)

* عن إبراهيم بن يزيد التَّيمي عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة فقال له رجل: لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت. فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقَرّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة»؟ فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية ثم الثالثة مثله. ثم قال: «يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم»، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: «ائتني بخبر القوم ولا تَذْعرهم عليّ». قال: فمضيت كأنما أمشي في حَمَّام حتى أتيتهم، فإذا أبوسفيان يُصْلي ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قولَ رسول الله ﷺ: لا تُذْعرهم عليَّ. ولو رميته لأصبته، فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائما حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نَوْمان»!. (٢)

غريب القصـة:

- **هويًا**: أي قطعه منه.
- **الكراع**: الخيل.
- **مرط**: كساء تتلفع به النساء.
- **أبليت**: بالغت في نصرته.
- **وقرٌ**: البرد.
- **تذعرهم عليَّ**: أي لا تفزعهم ولا تحركهم عليك لأن معرفتهم لك ضررٌ عليَّ لأنك رسولي وصاحبي (انظر النووي).
- **يصلي ظهره**: أي يدفئه.
- **قررت**: أي بردت وعادت لي البرودة كما كنت.
- **نومان**: كثير النوم.

تخريج الحديث:

(١) أخرجه ابن إسـحاق كما في السيرة لابن هشـام (٣/ ٢٤٢-٢٤٤) وأحمد (٥/ ٣٩٢-٣٩٣) من طريق ابن إسحاق ثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب به.

فيزيد بن زياد هو المدني مولى بني مخزوم ثقةوأصله في الصحيح عند مسلم.

ومحمد بن كـعب سمع من ابن مسعود وابن مسـعود توفي قبل حذيفة، فادراكـه حذيفة من باب أولى، وهو كـذلك من سكان الكـوفة، وحـذيفـة كـذلك، ثم لم يكن هو مـشـهـوراً بالإرسال، لذا تحـمل روايته على الاتصـال، [قال الألباني في تخـريج فقه السـيرة (٣٣٤): "وظاهر إسناده الاتصال فـهو صحيح" أ.هـ] وله طريق آخـر ولكنه مرسل إذ رواه يونس بن بكير (مغازي الذهبي ٢٩٦) عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رجلا قال لحذيفة..

وهذا سند حسن مرسل.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٨) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٤٩).

الفوائـد والعبـر:

١ـ الترغـيب يختلف عن الأمر، فـعندما امتـنع الصحابة من الإجـابة كان عن ترغيب، ولكن عندما أمـر حذيفة استجاب ولم يتردد أو يـتعذر ببرد أو ليل أو خوف أو نحوه.

٢ـ الوقوف عند أمر النبي ﷺ علامـة المتبع، وتأمل (ولا تذعرهم عليَّ) فكان يستطيع أن يقتل أبـوسفيان رأس المشركين في وقـته، ولكنه وقّف عند أوامر المصطفى ﷺ ، وهذا هو الاتباع لله ولرسوله ﷺ.

٣ـ جواز اتخاذ العين واستطلاع أمر العدو.

٤ـ من فضل الله عز وجل على حذيفة تسـهيل ذهابه وإيابه قال تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل من أمره يسرا ﴾ [الطلاق: ٤].

٥- سرعة بديهة حذيفة رضي الله عنه، وذلك عندما أخذ بيد الرجل وسأله.

٦ـ ممازحة الرسول ﷺ وملاطفته لأصحابه، بقوله: «قم يا نومان».

٧- ﴿ولله جنود السـموات والأرض﴾ [الفـتح: ٤, ٧] وعن ابن عبـاس رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالصَّبَـا وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

والصـبا الريح التي أُرسلت عليـهم ليلة الأحـزاب فسـفت التراب عليـهم، وأخمـدت نارهم، وقلعت خيامـهم فانهزمـوا، وكفى الله المؤمنين القـتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

٣٠- حكم سعد بن معاذ في بني قريظة

* عن عـائشة قـالت: خرجتُ يوم الخنـدق أقْفـو الناسَ فسـمعت وئيـدَ الأرض ورائي، فإذا أنا بسـعد بن معاذ ومـعه ابن أخيه الحـارث بن أوس يحمل مجنَّه. قالت: فجلستُ إلى الأرض فمر سـعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمرَّ وهو يرتجز ويقول:

لبِّث [1] قليلاً يُدْرك الهَيْجَا حَمَلْ ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجَلْ

قال: فقـمت فاقتحـمت حديقةً فإذا نفـر من المسلمين، فإذا فيهـا عمر بن الخطاب وفيـهم رجل عليه سَبغـة له، تعني المغفر، فـقال عمر: مـا جاء بك والله إنك لجـريئـة وما يؤمنك أن يـكون بلاءٌ أو يكون تحَـوُّز. فمـا زال يلومني حـتى تمنيت أن الأرض فُتحت سـاعتئذ فدخلتُ فـيها فرفع الرجل السَّبغَـة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقـال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل.

قالت: ويرمي سعدًا رجلٌ من قريش يقـال له ابن العَرِقة وقال: خذها وأنا ابن العرقة. فأصاب أكحلَه فقطعه، فدعا الله سعدٌ فقال: اللهم لا تُمتني حتى تقر عيني من بـني قريظة. قالت: وكـانوا حلفاءه ومـواليه في الجاهليـة. قالت فـرَقَأ كَلْمُـه وبعث الله الريحَ على المشـركين وكفى الله المؤمنـين القتـال وكان الله قـويًا عزيزًا. فلحق أبوسفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد.

(١) الصواب: ليت.

ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صَيَاصيهم [ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم، فضُربت على سعد في المسجد. قالت: فجاء جبريل وإن على ثناياه لَنَقْع الغبار فقال: أقد وضعتَ السلاح! لا والله ما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد، اخرج إلى بني قريضة فقاتلهم] [١]

قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا [فمر على بني غَنم، وهم جيران المسجد حوله فقال: «من مرَ بكم»؟ قالوا: مرَّ بنا دحْية الكلبي، وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنَه ووجهه جبريلَ عليه السلام] [٢].

[فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، فلما اشتد حَصْرهم واشتد البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ][٤] [فاستشاروا أبا لُبَابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذَّبح [٣]] قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ. فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ». فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حُمل عليه وحَفَّ به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومن قد عَلمت. قالت: ولا يرجع إليهم شيئًا ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي ألا أبالي في الله لومة لائم!

قالت: قال أبو سعيد: [فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه». قال عمر: سيدنا الله. قال: «أنزلوه». قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم». فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسم أموالهم [٦]] فقال رسول الله ﷺ [«لقد حكمتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله» [٥]] [ثم دعا سعدٌ فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب

قريش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعتَ الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كَلْمه وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخُرْص [7]]، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ.

قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله: ﴿ رُحماءُ بينهم ﴾ [الفتح: ٢٩] .

قال علقمة: فقلت: يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد. ولكنه كان إذا وجَد فإنما هو آخذٌ بلحيته.

* عن جابر بن عبدالله أنه قال: رُمِي يومَ الأحزاب سعدُ بن معاذ فقطعوا أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فنزفت، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تُخرج نفسي حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة. فاستمسك عِرقه فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون. فقال رسول الله ﷺ: «أصبتَ حُكم الله فيهم». وكانوا أربعمائة. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات.

درجة الحديث عند أهل العلم:

حديث عائشة: صححه ابن حبان وحسنه الحافظ ابن حجر والهيثمي والألباني، وقال ابن كثير: إسناده جيد.

تخريج الحديث:

الحديث الأول: حديث عائشة:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/٤٠٨ - ٤١١) وأحمد (٦/١٤١، ١٤٢) واللفظ له، وابن سعد في الطبقات (٢/٤٢١-٤٢٣) وابن حبان (٦٩٨٩ - الإحسان)من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده قال أخبرتني عائشة قلت: وهذا إسناد حسن، وعمرو بن علقمة لم يرو عنه إلا ابنه محمد.

ذكره ابن حبان في الثقات، وصحح الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم حديثة، وروايته من طريق ابنه محمد عن أبيه علقمة، والابن حسن الحديث والجد ثقة، وفي مثل هذه الأحوال يحسن العلماء حديث الراوي، لذلك حسن العلماء حديثه كالحافظ ابن كثير وابن حجر والهيثمي والألباني، وقد أقر الذهبي الحاكم على تصحيحه لحديثه (١/٤٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٣٨): "رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات".

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٥١): سنده حسن.

قال الحافظ ابن كثير في البداية (٤/١٢٤): "هذا الحديث إسناده جيد، وله شواهد من وجوه كثيرة" أ.هـ

قلت: ومن الشواهد ما أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن أبي سعيد الخدري.

وقال شيخنا العلامة الألباني في الصحيحة (٦٧): هذا إسناد حسن.

قلت: وأمّا ما بين المعقوفتين فتخريجها بالإضافة إلى ما سبق فإن لها شواهد ومتابعات كما يلي:

(١) أخرجه أحمد (٦/٥٦) والبخاري (٧/٤١١، ٤١٢ الفتح) ومسلم (١٧٦٩) عن عائشة.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/٨) متصلا من طريق عبدالله بن عمر عن عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة.

ورجاله ثقات عدا عبدالله بن عمر فإنه ضعيف ينجبر بغيره.

- وقال البيهقي (٤/١١): في مغازي يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن سماك عن عكرمة مرسلا.

. . . .

ورجاله لا ينحطون عن رتبة الحسن، عدا سماك في روايته عن عكرمة فإنها مضطربة.
ـ وأخرجه موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا كما في البداية (٣/ ٢٢٧).
ـ وله شاهد عند البيهقي (٤/ ١٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة مرسلا.
وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.
فمجموع الطرق لا ينزل الحديث عن رتبة الحسن.
(٣) أخرجه موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا.
ـ وكذلك ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة كما في البداية (٣/ ٢٢٩) وابن لهيعة اختلط بعد احتراق كتبه.
ـ وأخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ١٥) من طريق ابن إسحاق حدثني والدي عن معبد بن كعب ابن مالك مرسلا.
ورجاله ثقات فإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق ثقة، وأما معبد بن كعب فقد احتج به البخاري في الأصول، وكذلك مسلم، وبهذا جاوز القنطرة، وإن قال فيه الحافظ ابن حجر (مقبول)!
(٤) أخرجه ابن إسحاق قال: حدثني والدي عن معبد بن كعب بن مالك، والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٥).
(٥) أخرجه ابن إسحاق كما في البداية (٣/ ٢٣٣) قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال: أخبرتني عائشة.
ورجاله ثقات وعبدالرحمن بن عمرو وثقه أبوزرعة الرازي.
وأخرجه أحمد (٣/ ٢٢) والبخاري (٦/ ١٦٥ - ٧/ ١٢٣، ٤١١ - ١١/ ٤٩ فتح) ومسلم (١٨٦٨) والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٨) عن أبي سعيد.
(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢) والبخاري (٦/ ١٦٥ - ٧/ ١٢٣، ٤١١ - ١١/ ٤٩ فتح) ومسلم (١٧٦٨).
(٧) أخرجه البخاري (٧/ ٤١٢) ومسلم (٦٧/ ١٧٦٩) عن عائشة.
الحديث الثاني: حديث جابر:
أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠) والترمذي (١٥٨٢) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٢/ ٣٤١) من طريق قتيبة ثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر (فذكره).
وقال الترمذي: حسن صحيح.
قلت: وعنعنة أبي الزبير عن جابر محمولة على الاتصال لرواية الليث بن سعد عنه.

غريب القصـة:

ـ **أقفو**: أي اتتبع.

ـ **وئيد**: صوت الأرض.

ـ **مجنه**: الترس.

ـ **مغفر**: ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد.

ـ **أطرافه**: أي يديه ورجليه.

ـ **حوزا**: التحوز الضم والجمع.

ـ **أكـحله**: الأكـحل عـرق في الذراع يُفْـصـد (المصـباح) قـال ابن حـجـر: (٧/ ٤١٥): "وكان مـوضع الجرح ورم حتى اتـصل الورم إلى صدره فانفجر من ثم".

ـ **كَلْمهُ**: أي جرحه.

ـ **تهامة**: بالكسر موضع مشهور في الجزيرة مما تساير البحر.

ـ **صياصيهم**: حصونهم.

ـ **لأمته**: آلة الحرب وقيل الدرع.

ـ **إكاف**: الإكاف هو ما يشد على ظهر الحمار.

ـ **النكاية**: بالكسر إذا قتلت وأثخنت (المصباح).

ـ **الخُرص**: الحلقة الصغيرة من الحلي.

ـ **وجـد**: حزن.

الفوائـد والعبـر:

١ـ حياء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٢ـ إنشاء الشعر في القتال يبعث على الحماس في نفوس الجيش.

٣ـ جواز تمني الشهادة، وهو مخصوص من عموم النهي عن تمني الموت (الفتح).

٤ـ قتال الملائكة مع المؤمنين دليل تأييد الله سبحانه لعباده المؤمنين.

٥ـ تشبه جبريل عليه السلام بدحية الكلبي دليل على فضل دحية رضي الله عنه.

٦ـ جواز حصار العدو.

٧ـ افشاء سـر المسلمين خيانة، ولهذا لما أدرك أبو لبابة مـا فعل ندم وتوجه إلى مسجد النبي ﷺ فارتبط فيه حتى تاب الله عليه رضي الله عنه.

٨ـ لزوم حكم المحكم برضا الخصمين (قاله ابن المنير، الفتح ٦/ ١٦٥).

٩ـ تحكيم الأفضل من هو مفضول. (الفتح).

١٠ـ جواز الاجـتهـاد في زمن النبي ﷺ ، وهي خـلافيـة في أصول الفـقه، والمختار الجواز سواء كان بحضور النبي ﷺ أم لا، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتمـاد على الظن مع إمكان القطع ولا يضير ذلك، لأنه بالتقـرير يصير قطعيا، وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ كما في هذه القصة، وقصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتيل أبي قتادة" (الفتح ٧/ ٤١٦).

١١ـ قال شيخنا العلامة الألباني في الصحيحة فائدتان:

(١) ـ اشتهر رواية هذا الحديث بلفظ: "لسيدكم"، والرواية في الحديثين كما رأيت: "إلى سيـدكم"، ولا أعلم للفظ الأول أصلا، وقد نتج منه

خطأ فقهي، وهو الاستدلال به على استحباب القيام للقادم كما فعل ابن بطَّال وغيره.

قال الحافظ محمد بن ناصر أبوالفضل في "التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين عن أبي عبيد الهروي" (ق ٢/١٧): "ومن ذلك ما ذكره في هذا الباب من ذكر السيد، وقال كقوله لسعد حين قال: "قوموا لسيدكم": أراد أفضلكم رجلا. قلت: والمعروف أنه قال: "قوموا إلى سيدكم"، قاله ﷺ لجماعة من الأنصار لما جاء سعد بن معاذ محمولا على حمار، وهو جريح... أي: انزلوه واحملوه، لا قوموا له من القيام له؛ فإنه أراد بالسيد: الرئيس المتقدم عليهم، وإن كان غيره أفضل منه".

(٢) ـ اشتهر الاستدلال بهذا الحديث على مشروعية القيام للداخل، وأنت إذا تأملت في سياق القصة؛ تبين لك أنه استدلال ساقط من وجوه كثيرة: أقواها قوله ﷺ : "فأنزلوه"؛ فهو نصٌّ قاطع على أن الأمر بالقيام إلى سعد إنما كان لإنزاله من أجل كونه مريضا، ولذلك قال الحافظ: "وهذه الزيادة تخدش في الاستدلال بقصة سعد على مشروعية القيام المتنازع فيه، وقد احتج به النووي في (كتاب القيام)..." أ.هـ.

قلت: وانظر أجوبة ابن الحاج القوية في الرد على النووي فيما ذهب إليه في كتابه المذكور، انظر الفتح لابن حجر (١١/ ٥٠-٥٤).

٣١- مقتل أبي رافع سَلّام بن أبي الحقيق اليهودي

* عن البـراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلـى أبي رافع اليهـودي رجالا من الأنصار وأمَّر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبورافع يؤذي رسولَ الله ﷺ ويعين عليـه، وكان في حـصن له بأرض الحجـاز، فلما دَنوا منه وقـد غربت الشـمس وراح الناس بسَرْحهم قال عبدالله: اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطِّف للبوَّاب لعلي أن أدخل. فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنَّع بثوبـه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس، فهـتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فـادخل فإني أريد أن أغلق البـاب فـدخلت فكَمنْت، فلمـا دخل الناس أغلق البـابَ ثم علَّق الأغاليق على وَدّ. قال: فـقمت إلى الأقاليد وأخذتها وفتـحت الباب، وكان أبو رافع يَسْـمـر عنده وكـان في عَلالَـى له، فلمـا ذهب عنه أهلُ سَـمره صـعـدت إليه،فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل، فقلت: إن القومُ نَذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقـتله. فانتهيت إليه فـإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت. قلت: أبا رافع. قال: من هذا؟. فـأهْوَيت نحوَ الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دَهِش، فما أغنيتُ شـيئًا، وصاح فخرجتُ من البيت فأمكث غـير بعـيد، ثم دخلت إليـه فقلت: مـا هذا الصوت يا أبا رافع؟ فـقال: لأُمك الويلُ إنّ رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف. قال: فأضربه ضربةً أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضَبيبَ السيف فـي بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حـتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتـهيت، فوقـعتُ في ليلة مقـمرة فانكسـرت ساقي فعـصبتـها بعمامة حتى انطلقتُ حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعْلم

أقتله. فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع ناصرِ أهل الحجاز. فانطلقتُ إلى أصحابي فقلت: النجاءَ فقد قَتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: «ابسط رِجلك». فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط [1].

* عن البراء، قال: بعث رسولُ الله ﷺ إلى أبي رافع عبدَ الله بن عَتيك وعبدالله بن عُتْبة في ناس معهم، فانطلقوا حتى دنَوا من الحصن، فقال لهم عبدالله بن عَتيك: امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر. قال: فتلطفتُ حتى أدخل الحصن، ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقَبَس يطلبونه. قال: فخشيت أن أُعرف قال: فغطيت رأسي وجلست كأني أقضي حاجةً فقال: من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه.فدخلتُ ثم اختبأت في مَرْبط حمار عند باب الحصن، فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعةٌ من الليل، ثم رجعوا إلى بيوتهم.

فلما هدأت الأصواتُ ولا أسمع حركةً خرجتُ. قال: ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كَوَّة، فأخذته. ففتحت به باب الحصن قال: قلت: إن نَذِر بي القومُ انطلقتُ على مَهل. ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلَّقتها عليهم من ظاهِر.

ثم صعدت إلى أبي رافع في سُلّم فإذا البيت مظلم قد طَفِئ سراجه، فلم أدْرِ أين الرجلُ، فقلت: يا أبا رافع. قال: من هذا؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه، وصاح فلم تُغْن شيئًا. قال: ثم جئته كأني أُغيثه فقلت: مالك يا أبا رافع. وغيَّرت صوتي قال: لا أعْجبك لأمك الويلُ! دخل عليّ رجلٌ فضربني بالسيف. قال: فعمدت إليه أيضا فأضربه أخرى فلم تغن شيئا. فصاح وقام

أهله. ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيفَ في بطنه ثم أنكفئ عليه حتى سمعت صوت العَظم، ثم خرجت دَهِشًا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه، فانخلعت رجلي فعصبْتها، ثم أتيت أصحابي أَحْجُل. فقلت: انطلقوا فبشِّروا رسول الله ﷺ فإني لا أبرح حتى أسمع الناعيةَ. فلما كان في وجه الصبح صعد الناعيةُ فقال: أنعي أبا رافع. قال: فقمت أمشي ما بي قَلَبَة فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشرته.

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة. ثم قال: قال الزهري: قال أُبي بن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال: «أفلحت الوجوه». قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. قال: «أفتكتموه»؟ قالوا: نعم. قال: «ناولني السيف». فسلّه فقال: «أجل هذا طعامه في ذُبَاب السيف». (٢)

قال ابن كثير: يحتمل أن عبدالله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله، فلما عصبها استكنَّ ما به لما هو فيه من الأمر الباهر، ولما أراد المشي أُعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرَّت نفسه ثاوَره الوجع في رجله، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجعٌ يتوقع حصوله في المستقبل، جمعًا بين الرواية والتي تقدمت، والله أعلم.

تخريج الحديث:

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٤٠، ٣٤١ الفتح).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٣٤١، ٣٤٢ الفتح).

غريب القصـة:

- **وراح الناس بسرحهم**: أي رجعوا بمواشيهم التي ترعى.
- **غلق الأغاليق**: ما يغلق به الباب ويفتح.
- **الود**: الوتد.
- **نذروا بي**: أي عملوا بي.
- **ضبيب السيف**: طرف السيف.
- **قبس**: شعله.
- **كوة**: بالفتح، وقد تضم، وقيل غير النافذة وبالضم النافذة (الفتح ٧/ ٣٤٣).
- **النجاء**: أي أسرعوا.
- **احجل** : الحجل رفع رجل وخـفض أخرى قال ابن حجـر: "الحجل هو أن يرفع رجلا ويقف على أخـرى من العرج، وقد يكون بالرجلين مـعا إلا أنه حينئذ يقال قفزا لا مشيا. . . ".

الفوائـد والعبـر:

١ـ خوف اليهود وجبنهم، فهم دائما يعيشون في حماية وحصون.
٢ـ حب الصحابة للرسول ﷺ واستجابتهم له.
٣ـ الاحتراز والحيطة من أسباب تحقيق الهدف.

٤ـ التلطف واللين من وسائل ترقيق القلوب.

٥ـ جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر.

٦ـ قتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه.

٧ـ جواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم.

٨ـ الأخذ بالشدة في محاربة المشركين.

٩ـ جواز إبهام القول للمصلحة.

١٠ـ تعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين.

١١ـ الحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعي بموته.

١٢- جواز قتل المعاهد إذا نقض العهد، قلت: وانظر غير مأمور مقولة العيني في قتل كعب بن الأشرف برقم (٢٣).

(١) الفوائد من رقم ٥ إلى ١١ من الفتح (٧/ ٣٤٥).

٣٢- بطولة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

* عن سلمة بن الأكوع قال: قدمنا المدينةَ زمن الحديبية مع الرسول الله ﷺ فخرجت أنا ورَباح غلام النبي ﷺ بظَهْر رسول الله ﷺ وخرجت بفرس لطلحة بن عبيدالله أريد أن أُنديه مع الإبل، فلما كان بغلَس أغار عبد الرحمن ابن عُيَينة على إبل رسول الله ، فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل، فقلت: يا رباح اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة وأخبر رسولَ الله ﷺ أنه قد أُغير على سَرْحه. قال: وقمت على تَل فجعلت وجهي من قِبَل المدينة، ثم ناديت ثلاث مرات: يا صباحاه! قال: ثم اتبعتُ القوم معي سيفي ونَبلي فجعلت أرميهم وأعقربهم، وذلك حين يَكْثر الشجر، فإذا رجع إليَّ فارسٌ جلست له في أصل شجرة ثم رميت، فلا يُقْبل إلى فارسٌ إلا عقرتُ به، فجعلت أرميهم وأنا أقول:

أنا ابن الأكوعْ　　　واليومُ يوم الرُّضعْ

قال: فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتي انتظم كتفه فقلت:

خذها وأنا ابن الأكوع　　　واليومُ يوم الرُّضع

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنَّبْل فإذا تضايَقَت الثنايا علوت الجبلَ فردَّيتهم بالحجارة، فما زال ذاك شأني وشأنهم اتبعهم وأرتجز حتى ماخلق الله شيئا من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلَّفته وراء ظهرى فاستنفذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتي ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بُردة يستخفُّون منها ولا يُلقون من ذلك شيئا إلا جعلت عليه حجارةً وجمعته على طريق رسول الله ﷺ؛ حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفَزاري مدداً لهم وهم

في ثنية ضيقة، ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا لقينا مَن هذا البرْحَ ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره. فقال عيينة: لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليقم إليه نفر منكم. فقام إليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل، فلما أسمعتهم الصوتَ قلت أتعرفونني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع، والذي كرَّم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني. فقال رجل منهم: إن أظن. قال: فما برحتُ مقعدى ذلك حتي نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ، يُخللون الشجرَ وإذا أولهم الأخْرم الأسدى، وعلي أثره أبو قَتادة فارس رسول الله ﷺ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكنْدى، فولّي المشركون مدبرين، وأنزلُ من الجبل فأخذ عنان فرسه، فقلت: يا أخْرم ائذن االقومَ- يعني أحذرهم - فإنى لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتي يلحق رسول الله ، وأصحابه. قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حقٌّ والنار حق فلا تحُلْ بيني وبين الشهادة! قال: فخلَّيت عنانَ فرسه فيلحق بعبدالرحمن بن عُيينة ويَعْطف عليه عبدُالرحمن، فاختلَفا طعنتين، فعقر الأخرمُ بعبدالرحمن وطعنه عبدالرحمن فقتله، فتحَّول عبدالرحمن على فرس الأخرم، فيلحق أبوقتادة بعبدالرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبوقتادة، وتحوَّل أبوقتادة على فرس الأخرم، ثم إني خرجت أعْدو فى أثر القوم حتي ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئا، ويعرِّضون قبلَ غيبوبة الشمس إلى شعْب فيه ماء يقال له ذو قَرد، فأرادوا أن يشربوا منه فإبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ذى بئر وغربت الشمس،وألحق رجلا فارميه فقلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع. قال: فقال: يا ثُكل أم أكْوَع بُكرةً. فقلت: نعم أي عدو نفسه. وكان الذى رميته بُكرة، وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان، ويخلفون

فرسين فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذى أجليتهم عنه ذو قرد وإذا بنبى الله ﷺ في خمسمائة وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله خلنى فأنتخْب من أصحابك مائة فآخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، فقال: «أكنت فاعلا ذلك يا سلمة»؟ قال: قلت: نعم والذى أكرمك، فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ثم قال: «إنهم يقرون الآن بأرض غطفان»، فجاء رجل من غطفان فقال: مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «خير فرساننا أبوقتادة، وخير رجالتنا سلمة»، فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبق جعل ينادى: هل من مسابق، ألا رجل يسابق إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله ، مُرْدِفي فقلت له: أما تكرم كريما ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا إلا رسول الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى خلنى فلأ سابق الرجل. قال: «إن شئت». قلت أذهب إليك فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة، ثم أنى ربطت عليه شرفا أو شرفين يعني استبقيت من نفسي، ثم إنى عدوت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدى قلت: سبقتك والله أو كلمة نحوها قال: فضحك وقال: أنْ أظن. حتى قدمنا المدينة.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٤/ ٥٢ـ٥٣) والسياق له، ومسلم بنحوه (١٨٠٧).

غريب القصة:

- **أنديه**: أن يورد الماشية الماء فتسـقي قليلا ثم ترسل في المرعي ثم ترد الماء فترد قليلا ثم ترد المرعى (١٢/ ١٧٨ نووي).
- **واليوم يوم الرضع**: أى يوم هلاك اللئام وهم الرضع من قولهم لئيم راضع أى رضع اللؤم في بطن أمه، وقيل لأنه يمص حلمة الشـاة والناقة لئلا يسمع السؤال والضيفان صوت الحلاب فيـقصدوه، وقيل معناه اليوم يعرف من رضع كريمة فأنجبته، أولئيمة فهجنته، وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره (النووى ١٢/ ١٧٤).
- **تضايقت الثنايا**: أى استتروا بمكان ضيق.
- **ثنية ضيقة:** الثنية العقبة والطريق في الجبل أي حتى أتوا طريقاً فى الجبل ضيقة.
- **البرح**: الشدة.
- **يخللون**: أى يدخلون بينها.
- **يقرون**: أى من القرى وهى الضيافة.
- **العضباء**: هو لقب ناقة الرسول ﷺ، ويأتى الكلام عنها في القصة القادمة.
- **فظفرت عن الناقة**: أى وثب.
- **إنْ أظن**: أى أظن ذلك.

الفوائد والعبر:

١ـ جواز الإنذار بالعدو ونحوه.

٢ـ جواز تعريف الإنسان بنفسه إذا كان شجاعا ليرعب خصمه

٣ـ جواز الإعارة.

٤ـ من معجزات الرسول إخباره ﷺ بأنهم يقرون في غطفان وكان كذلك.

٥ـ بعث الطلائع.

٦ـ جواز المسابقة على الأرجل بلا عوض.

٧ـ من مناقب سلمة بن الأكوع وأبي قتادة والأخرم الأسدي رضى الله عنهم.

٨ـ جواز الثناء على من فعل جميلا واستحباب ذلك إن ترتب عليه مصلحة.

٩ـ جواز عقر خيل العدو في القتال.

١٠ـ استحباب الرجز في الحرب.

١١ـ جواز قول الرامي والطاعن والضارب صنيعا جميلا في الحرب

١٢ـ جواز الإرداف على الدابة المطيقة.

١٣ـ ما كانت الصحابة رضى الله عنهم عليه من حب الشهادة والحرص عليها[١].

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/ ١٧٣ـ١٨٦).

٢٣- قصة العضباء ناقة الرسول ﷺ

* عن عمران بن حصين قال: كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج، فأسر الرجل فأخذت العضباء معه. قال: فمر به رسول الله ﷺ وهو في وثاق، ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال: يامحمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج؟. فقال رسول الله ﷺ: «نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف» قال: وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي ﷺ. وقال فيما قال: وإني مسلم فقال رسول الله ﷺ: لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح» قال: ومضى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إني جائع فإطعمني وإني ظمآن فاسقني فقال رسول الله ﷺ: «هذه حاجتك» ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله. قال: ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا بها وكانت العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين. قال وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبلهم بأفنيتهم. قال: فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نُوِّمُوا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأتت على ناقة ذلول مُجَرَّسة فركبتها ثم وجهتها قِبَل المدينة. قال: ونذرت إن الله انجاها عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة عُرِفت الناقة. فقيل: ناقة رسول الله ﷺ. قال: وأخبر رسول الله ﷺ بنذرها أو أتته فأخبرته. فقال بئس ما جزيتها أو بئس ما جزَتْها أن أنجاها الله عليها لتنحرنها. قال: ثم قال رسول الله ﷺ : "لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم".

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٤) ومسلم (١٦٤١) وأبوداود (٣٣١٦) والدرامي (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧) من طريق أيوب عن أبى قلابة عن أبي المهلب عن عمران بن حصين.

وأخرجه الترمذي (١٥٦٨) والنسائي (٣٨١٢) وابن ماجه (٢١٢٤) طرفاً منه.

غريب القصة:

- **عمران بن حصين**: كان إسلامه عام خيبر وغزا عدة غزوات، كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث (الإصابة ٣/ ٢٧).
- **العضباء**: مشقوقة الأذن، ولكن لم تكن ناقة النبي ﷺ كذلك، وإنما هذا اسم لها، وقيل العضباء قصيرة اليد، والله أعلم.
- **سوابق الحاج**: لأنها كانت سريعة لا تُسبق، وكانت تسبق الحجاج في سفرها، ومن الأحاديث الدالة على سرعتها حديث أنس قال: كانت ناقةٌ لرسول الله ﷺ تسمي العَضْباء، وكانت لاتُسبق فجاء أعرابيٌ على قعودٍ له فسبقَها، فأشتد ذلك على المسلمين وقالوا. سُبقت العضباءُ، فقال رسول الله ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يَرفَعَ شيئاً من الدنيا إلا وضعه» رواه البخارى (٦٥٠٦ ـ فتح).
- **وثاق**: أى القيد.
- **قطيفه**: دثار من مخمل.
- **علام تأخذون سابقة الحاج؟** . إنما سأله لأنه يعتقد أن له ولقبيلته عهداً من النبى ﷺ.
- **جريرة حلفائك**: الجريرة الذنب والجناية، والمعنى أني أخذتك بذنب حلفائك وذلك أنهم أسروا رجلين من الصحابه. قلت: اختلفوا في تأويل هذه العبارة على أقوال انظر بتوسع " معالم السنن" للخطابي.

- **لو قلتها وأنت تملك أمرك**: أى لو قلت كلمة الإسلام قبل الإسر وأنت تملك أمـرك لأفلحـت ونجـوت في الدنيـا من الأسـر، وفي الآخـرة من العـذاب، ولكن الآن أسلمت بعد الأسـر فيـسقط الخـيار في قـتلك ويبقى خيار الأسترقاق أو المن، أو الفداء.
- **ثقيف**: قبيلة مشهـورة، وكانت منازلهم بالطائف، وهى على مرحلتين من مكة وينسبون إلى أبيهم فيقال لهم ثقيف، واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوزان.
- **أرحوا**: أى لترتاح، والمراح يكون ليلا.
- **رغا**: أى ارتفع صوت ذلك البعير.
- **ذلول مجرسة**: أى وطيئة مجربة في السير والركوب.

الفوائد والعبر:

١- حسن معاملة الأسرى والرفق بهم.

٢- تواضع النبي ﷺ، ورفقه بالآخرين.

٣- الأمور بالظواهر والله يتولى السرائر.

٤- يؤخذ الأسير بجريرة حلفائه أو التابع لهم.

٥- الإسلام بعد الأسر لا ينافي الاسترقاق.

٦- شجاعة المرأة وحسن تدبيرها.

٧- لا وفاء لنذر في معصية الله؛ قال النووى في شرح مسلم (١٠١/١١):

"في هذا دليل على أن من نذر معصية كشرب الخمر ونحو ذلك فنذره باطل لا ينعقد".

٨ـ لا وفاء لنذر فيما لا يملكه الإنسان ؛ قال النووى في شرح مسلم (١١/١٠١): " أما قوله ﷺ: " ولا فيما لا يملك العبد" فهو محمول على ما إذا أضاف النذر معين لا يملكه بأن قال إن شفى الله مريض فلله عليّ أن أعتق عبد فلان، أو أتصدق بثوبه، أو بداره، أو نحو ذلك، فأما إذا التزم فى الذمة شيئاً لا يملكه فيصح نذره مثاله قال: إن شفى الله مريضي فلله عليّ عتق رقبة وهو في ذلك الحال لا يملك رقبة ولا قيمتها فيصح نذره، وإن شفي المريض ثبت العتق في ذمته.

٩ـ وفى الحديث حجة لمن قال بأن نذر المعصية لا كفارة فيه.

١٠ـ وفي الحديث دليل على أن العضباء غير القصواء، لأن القصواء هى التى هاجر عليها النبي ﷺ كما في شرح الزرقانى على المواهب (٣/ ٣٩٠).

١١ـ لا ينبغي للمؤمن أن يجازي بالإحسان إساءة، حتى لو كان حيواناً.

١٢ـ رفق النبي ﷺ.

٣٤- أعظم امرأة بركة على قومها

* عن عائشة قالت: لمّا قسم رسولُ الله ﷺ سبايا بني المصطلق وَقَعَتْ جُوَيْرِيةُ بنتُ الحارث في السَّهمْ لثابت بن قيس بن شمّاس، أو لابن عمّ له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأةً حُلْوَةً مَلاَّحة لا يراها أحدٌ إلا أَخَذَتْ بنَفسه، فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها. قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكَرِهتها وعرفتُ أنه سيرى منها ما رأيتُ، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جُوَيرِيةُ بنتُ الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «فهل لك في خير من ذلك»؟ قالت: وما هو يا رسولَ الله. قال: «أقضي عنك كتابك وأَتزَوّجُك». قالت: نعم يا رسول الله قد فعلتُ. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله ﷺ قد تَزَوَّجَ جُوَيرية بنت الحارث فقال الناس: أَصْهارُ رسول الله ﷺ ارسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهلُ بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظمَ بركة على قومها منها.

تخريج الحديث:

رواه ابن إسحاق [ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٩٤, ٢٩٥] ، ومن طريقه أحمد (٦/ ٢٧٧) وأبوداود (٣٩٣١) والطبراني(٢٤/ ٦١) والحاكم (٤/ ٢٦) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٤٩ـ٥٠) وابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ٥٦) قال: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة.

قلت: فيه ابن إسحاق وهو صدوق مدلس، ولكنه صرح بالسماع وباقي الرجال ثقات، والحديث صححه الألبانى فى تخريج فقه السيرة (٣٠٩).

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه العلامة المحدث الألباني.

غريب القصة:

- **المُصْطَلِق:** لقب جذيمة بن سعد من خزاعة.
- **سبايا:** هم الأسرى، فالغلام سبيّ ومسبيّ، والجارية سبية ومسبية وجمعها سبايا
- **جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارث:** الخزاعية المصطلقية كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ جويرية، قتل زوجها مسافع بن صفوان المصطلقي يوم المريسيع وهو من ألد أعداء الإسلام وأكثرهم خصومة. انظر أسد الغابة (٧/٥٦) والإصابة (٤/٢٥٦).
- **ثابت بن قيس بن شماس:** من كبار الصحابة خطيب الرسول ﷺ، وهو من المبشرين بالجنة؛ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أفتقد ثابت بن قيس؛ فقال رجلٌ: يا رسول الله أنا أعلمُ لك عِلَمه، فأتاهُ فوجدهُ جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرّ، كان يَرفَعُ صوتهُ فوقَ صوت النبيِّ ﷺ فقد حبطَ عمله وهو من أهل الأرض، فأتي الرجلُ فأخبرهُ أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: (الراوي) فرجعَ المرةَ الآخرةَ ببشارةٍ عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لستَ من أهل النار، ولكن من أهل الجنةِ. رواه البخاري (٦/ ٦٢٠ ـ فتح).
- **كاتبه:** المكاتبة هي بيع السيد رقيقه نفسه بمال، ومتى أدى المكاتب ما عليه لسيده أو ابرأه منه عتق.

- **ملاّحة:** بالتشديد أبلغ في الملاحة كقوله سبحانه: ﴿ ومكروا مكراً كباراً ﴾ [نوح: ٣٣].
- **كرهتها:** الكراهية هنا بمعني الخوف من أن يرغب فيها فيتزوجها لحسنها وملاحتها .
- **فهل لك في خير من ذلك:** قال الشامي نظرها ﷺ حتي عرف حسنها لأنها كانت أمة، ولو كانت حره ما ملاء عينيه منها لأنه لا يكره النظر إلى الأماء، أو لأن مراده نكاحها (عون المعبود ٣/ ٣٤).
- **أصهار رسول الله:** الصهر يطلق على جميع أقارب المرأة والرجل، ومنهم من يخصه بأقارب المرأة.

الفوائد والعبر:

١ـ مشروعية تقسيم الغنائم.

٢ـ مشروعية المكاتبة، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ [النور: ٣٣].

وفي الحديث: "ثلاثة حق على الله تعالى عونُهُم: المجاهدُ في سبيل الله، والمكاتبُ الذي يريدُ الأداء، والناكحُ الذى يريد العفاف". رواه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

٣ـ الغيرة من طبيعة (المرأة).

٤ـ عناية الإسلام وحرصة على أخذ رأى المرأة عند الزواج.

٥ـ الولي هو يزوج نفسه؛ (قاله أبوداود).

٦ـ فيه جواز انعقاد نكاح النبي ﷺ بلا ولي ولا شهود، وهو من خصائصه قال ابن الملقن في غاية السول: "في انعقاد نكاحه بلا ولي ولا شهود وجهان: أحدهما: لا، لعموم قوله ﷺ: " لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"، وأصحهما: نعم لأن اعتبار الولي المحافظة على الكفاءة ولا شك فيه أنه ﷺ فوق الأكفاء، واعتبار الشهود لأمن الجُحُود، وهو عليه الصلاة والسلام لا يجحد، وإن جحدت هي لم يرجع إلى قولها على خلاف قوله، بل قال العراقي في شرح المهذب: تكون كافرة بتكذيبه".

٨ـ زواج النبي الكريم من جويرية دليل ذكاء وفطنة وحكمة، ومن حكم زواجه منها:

* إعانتها على العتق.
* كفالتها لأن زوجها قتل في يوم المريسيع.
* سياسة منه ليعتق المسلمون من بأيديهم.
* ليستعطف عشيرتها للدخول في الإسلام، وكذا وقع.

قلت: ولم يتزوجها رسول الله لجمالها كما يتوهم، وإنما حمل عائشة رضي الله عنها ذلك الغيرة كما هو معلوم عنها، والله ولي التوفيق.

٩ـ حب الصحابة للنبي ﷺ وحياؤهم من أن يسترقوا أصهاره.

١٠ـ ثناء عائشة رضي الله عنها لجارتها جويرية.

٣٥- حديث الإفك وبراءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

* عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرَع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كان غزوة بني المُصْطَلَق أقرعَ بين نسائه، كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت: وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلق لم يهجْهن اللحم فيثْقلن، وكنت إذا رُحِّل لي بعيرى جلست فى هودجى، ثم يأتى القوم الذين كانوا يرحِّلون لي فيحملوننى ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجَّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذّن مؤذنٌ في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتى وفي عنقي عقد لي فيه جزْع ظفار فلما فرغتُ انسلَّ من عنقي ولا أدري. فلما رجعتُ إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناسُ في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القومُ خلافى الذين كانوا يرحّلون لي البعيرَ وقد كانوا فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فأحتملوه فشدُّوه على البعير ولم يشكُّوا أنّي فيه، ثم أخذوا برأس البعير فأنطلقوا به.

فرجعتُ إلى العسكر وما فيه داعٍ ولا مجيب، قد انطلق الناس. قالت: فتلَّففتُ بجلبابي ثم اضطجعت في مكانيِ، وعرفت أن لو أفتُقدت لرجع الناس إليّ.

قالت: فوالله إني لمضطجعة إذا مرَّ بي صفوان بن المعطَّل السُّلَمى وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجابُ، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ظَعينة رسول الله ﷺ؟ وأنا متلففة فى ثيابي. قال: ما خلَّفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته. ثم قرب إليَّ البعير فقال: اركبي. وأستأخَر عني.

قالت: فركبت وأخذ برأس البعير فأنطلق سريعا يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناسَ وما أفتُقدت حتى أصبحت، ونزل الناس فلما أطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، وارتجَّ العسكرُ ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يَبْلغنى من ذلك شيء. وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعضَ لطفه بي، كنت إذا أشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليَّ وعندي أمي تمرّضني قال: «كيف تِيكم»؟ لا يزيد على ذلك.

قالت: حتى وجدت في نفسي فقلت: يارسول الله، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي: لو أذنتَ لي فانتقلتُ إلى أمي فمرَّضتني. قال:«لا عليك».قالت: فأنقلبت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نَقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنّا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج في فُسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطَح ابنة أبي رُهْم بن المطلب، قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرتْ في

مرطها فقالت: تعس مِسْطح. ومسطح لقب واسمه عوف. قالت: فقلت: بئس لعمرو الله ماقلت لرجل من المهاجرين، وقد شهد بدراً. قالت: أو ما بلغك الخبر يابنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتْني بالذي كان من قول أهل الإفك. قلت: أوَقد كان هذا؟ قالت: نعم، والله لقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت، فوالله مازلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع كبدي. قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك تحدَّث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً! قالت: أيْ بنية خَفِّفي عليك الشأنَ فوالله لقلَّ ما كانت إمرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثَّرن وكثَّر الناسُ عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم، ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس ما بالُ رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمتُ عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي».

قال: وكان كِبَرُ ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذى قال مسْطح وحَمْنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصبني فى المنزلة عنده غيرها.

فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً، وأما حَمْنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارُّني لأختها فشقيت بذلك.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرنا أمرك، فوالله إنهم لأهلُ أن تضرب أعناقهم.

قالت: فقام سعد بن عبادة، وكان قبلَ ذلك يُرى رجلا صالحاً فقال:

كـذبتَ لَعمـر الله مـاتُضرب أعناقـهم، أمـاَ والله ماقلت هـذه المقالة إلا أنك قـد عـرفت أنهم من الخـزرج ولو كـانوا من قـومك مـا قلت هذا. فـقال أسـيـد بن حضير: كذبتَ لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.

قـالت: وتَسـاور الناسُ حـتى كـاد يكـون بين هذين الحـيـيَّن من الأوس والخزرج شر.

ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليٍّ فدعـا عليٍّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيراً، ثم قال: يا رسول الله أهلُك وما نعلم منهم إلا خـيرا، وهذا الكـذبُ والباطل. وأمـا علي فـإنه قال: يـارسول الله إن النسـاء لَكثير وإنك لقادر علـى أن تَستْخلف، وسَـل الجارية فإنهـا ستـصْدقك. فـدعا رسول الله ﷺ بُرَيرة يسألها. قالت: فقام إليها عليٍّ فضربها ضرباً شديداً ويقول: أصدقي رسـول الله ﷺ. قالت: فتقـول: والله ما أعلم إلا خيرا، ومـا كنت أعيب على عائشة شـيئاً إلا أني كنت أعجن عجـيني فآمرها أن تحفظه فـتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله!

قـالت: ثم دخل علـيٍّ رسـول الله ﷺ وعنـدي أبواي وعندي امـرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي، فجلس فحمـد الله وأثنى عليه قال: «يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فـاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فـإن الله يقبل التوبة عن عبـاده». قالت: فوالله إن هوَ إلا أن قال لي ذلك فقلَـص دمـعي حتـى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبـويٍّ أن يجيبا عني رسولَ الله ﷺ فلم يتكلما.

قالت: وايم الله لأنا كنت أحْقَر في نفسي وأصغر شأناً من أن يُنزل الله فيٍّ قـرآناً يقرأ بـه ويُصلَّى به، ولكني كنت أرجـو أن يرى النبي ﷺ في نومـه شـيئـاً

يكذّب الله به عني لما يَعْلـم من براءتي ويخبـر خبـراً، وأمـا قرآناً ينزل فيَّ فـوالله لنفـسي كـانت أحقـر عندي من ذلك. قـالت: فلمـا لـم أر أبويَّ يتكلمـان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندري بما نجيبه. قالت: ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عـليهـم ما دخل علـى آل أبي بكر في تلك الأيام. قـالت: فلما استعـجما عليَّ استعبـرتُ فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتَ أبدا، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول النـاس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت مـا يقولون لا تُصدقونني. قالـت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبويوسف: « فصبرٌ جميل والله المستعان على ماتَصفون » قالت: فوالله ما برح رسولُ الله ﷺ مجلسه حتى تغشاَه من الله ما كان يتغشاه، فسجِّى بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمي، وأمـا أبوايَّ فوالذي نفس عائشة بيده مـا سرَّى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتَخْرجن أنفسهما فرَقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

قالت: ثم سـرِّى عن رسول الله ﷺ فـجلس وإنه ليتحـدَّر من وجهـه مثل الـجُمَان في يوم شات، فجعل يمسح العرقَ عن وجهه ويقول: «أبشرى يا عائشة، قد أنزل الله عزوجل براءتك». قالت: قلت: الحمد لله.

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليـهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسْطح بن أُثاَثة وحسان بـن ثابت وحَمْنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدَّهم.

تخريج الحديث:

أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٣/ ٣٠٩ـ ٣١٥) وأحمد (٦/ ٥٩، ١٩٤ـ ١٩٧) وأخرجه البخارى (٥/ ٢٦٩ـ ٢٧٢، ٨/ ٤٥٢ـ ٤٥٥ الفتح) ومسلم (٢٧٧٠) والترمذي (٣١٨٠) وغيرهم كثير من طرق عن عائشة رضى الله عنها.

غريب القصة:

ـ **العلق**: وفي رواية العلقة أى القليل من الطعام.

ـ **هودجى**: الهودج محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه.

ـ **جزع ظفار** : ظفار المدينة المعروفة في اليمن، والجزع خرز في سواده بياض كالعروق قال ابن حجر: " لعل عقدها كان من الظفر أحد أنواع القسط وهو طيب الرائحة يتبخر به، فلعله عمل مثل الخرز فأطلقت عليه جزعا تشبيها به ونظمته قلادة إما لحسن لونه أو لطيب ريحه".

ـ **كيف تيكم:** بكسر المثناة الفوقية وهى فى الإشارة للمؤنث مثل ذاكم في المذكر قال في التنقيح: وهى تدل على لطف من حيث سؤاله عنها وعلى نوع جفاء من قوله تيكم.

ـ **الكنف**: جمع كنيف وهو الساتر المتخذ لقضاء الحاجة.

ـ **مرطها:** المرط هو كساء من خز أو صوف كتَّان يؤتزر به وتتلفع به المرأة. (معجم الوسيط ٢/ ٨٦٤).

ـ **ضرائر**: زوجات الرجل الواحد، وسميت الواحدة منهن ضرة لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى نتيجة الغيرة.

ـ **لعمر الله**: أى وبقاء الله، وفى صحيح البخارى فى "الأيمان والنذور" قال: "باب قول الرجل: لعمر الله".

ـ **قلص دمعي:** استمسك وانقطع وذلك أن عظم المصيبة تثير الحزن والغضب وإذا اجتمعا في مصاب انقطع الدمع.

ـ **استعجما عليَّ**: أى لم يجيبا.

ـ **الجمان**: أى اللؤلؤ.

الفوائد والعبر:

١ـ مشروعية القرعة حتى بين النساء، وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو.

٢ـ جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس أو ذم إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكى إذا كان بريئا عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموقوع فيه.

٣ـ استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام

٤ـ الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة.

٥ـ جواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقا لذلك.

٦ خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب.

٧ـ جواز تستر المرأة بالشىء المنفصل عن البدن.

٨ـ توجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام.

٩- جواز تحلى المرأة فى السفر بالقلادة ونحوها، وصيانة المال ولو قل للنهى عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر.

١٠- شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة فلما زاد على قدر الحاجة أثّر ماجرى.

١١- توقف رحيل العسكر على إذن الأمير.

١٢- استعمال بعض الجيش ساقة يكون أمينا ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط، وغير ذلك من المصالح.

١٣- الاسترجاع عند المصيبة.

١٤- تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبى.

١٥- إغاثة الملهوف وعون المنقطع وانقاذ الضائع وإكرام ذوى القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك.

١٦- حسن الأدب مع الأجانب خصوصا النساء لاسيما في الخلوة، والمشى أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها حركة المشى.

١٧- ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضى النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تفطن لتغير الحال فتعتذر أو تعترف، وإنه لا ينبغى لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذى باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه.

١٨- السؤال عن المريض وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققا فيترك أصلا، وإن كان مظنونا فيخفف، وإن كان

مشكوكا فيه أو محتملا فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل بل لئلا يظن بصاحبة عدم المبالاة بما قيل في حقه، لأن ذلك من خوارم المروءة.

١٩ـ إن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها.

٢٠ـ ذب المسلم عن المسلم خصوصا من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم.

٢١ـ بيان فضيلة أهل بدر، وإطلاق السب على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص.

٢٢ـ البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفا بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك.

٢٣ـ فضيلة قوية لأم مسطح لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة بل تعمدت سبه على ذلك.

٢٤ـ تقوية لأحد الأحتمالين في قوله ﷺ عن أهل بدر "أن الله قال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وأن الراجح أن المراد بذلك أن الذنوب تقع منهم لكنها مقرونة بالمغفرة تفضيلا لهم على غيرهم بسبب ذلك المشهد العظيم ومرجوحية القول الآخر أن المراد أن الله تعالى عصمهم فلا يقع منهم ذنب، نبه على ذلك الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة نفع الله به.

٢٥ـ مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب، وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالي ينزه أن يحصل لقرابة رسول الله ﷺ تدنيس فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا نبه عليه أبوبكربن العربى.

٢٦ـ توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى بيت أبويها.

٢٧ـ البحث عن الأمر المقول ممن يدل عليه المقول فيه، والتوقف فى خبر الواحد ولو كان صادقا، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين، وأن خبر الواحد إذا جاء شيئا بعد شيء أفاد القطع لقول عائشة" لأستيقن الخبر من قبلهما" وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين.

٢٨ـ استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب، والبحث عن الحال من أتهم بشيء، وحكاية ذلك للكشف عن أمره ولا يعد ذلك غيبة.

٢٩ـ استعمال "لا نعلم إلا خيرا" في التزكية، وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفى أمره.

٣٠ـ التثبت فى الشهادة، وفطنة الإمام عند الحادث المهم، والأستنصار بالأخصاء على الأجانب، وتوطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب به أو العتاب له، واستشارة الأعلى لمن هو دونه، واستخدام من ليس فى الرق، وأن من استفسر عن حال شخص فأراد بيان مافيه من عيب فليقدم ذكر عذره فى ذلك إن كان يعلمه كما قالت بريرة في عائشة حيث عابتها بالنوم عن العجين فقدمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن.

٣١ـ إن النبى ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحى لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحى نبه عليه أبو محمد بن أبى جمرة نفع الله به، وأن الحمية لله ورسوله لا تذم.

٣٢- فيه فضائل جمة لعائشة ولأبويها ولصفوان ولعلي بن أبي طالب وأسامة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير.

٣٣- إن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح، وجواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه، لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظا له، وإطلاق الكذب على الخطأ، والقسم بلفظ لعمر الله.

٣٤- الندب إلى قطع الخصومة، وتسكين ثائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما، وفضل احتمال الأذى.

٣٥- مباعدة من خالف الرسول ولو كان قريبا حميما، وفيه أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ.

٣٦- مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن، وفيه تثبت أبى بكر الصديق فى الأمور لأنه لم ينقل عنه فى هذه القصة مع تمادى الحال فيها شهرا كلمة فما فوقها، إلا ما ورد عنه فى بعض طرق الحديث أنه قال: "والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام" وقع ذلك فى حديث ابن عمر عند الطبراني.

٣٧- ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء وقول أما بعد، وتوقيف من نقل عنه ذنب على ماقيل بعد البحث عنه، وأن قول كذا وكذا يكنى بها عن الأحوال كما يكنى بها عن الأعداد ولا تختص بالأعداد.

٣٨- مشروعية التوبة وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص، وأن مجرد الاعتراف لا يجزىء فيها، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو عرف أنه يصدق فـى ذلك، ولا يؤخذ على ما يترتب على اعترافه، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت، وأن الصبر تحمد عاقبته ويغبط صاحبه.

٣٩- تقديم الكبير في الكلام وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام.

٤٠- تبشير من تجددت له نعمة أو انعدمت عنه نقمة، وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك، ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه، وإدلال المرأة على زوجها وأبويها، وتدرج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحى ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها، وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يمكن من المبالغة في الرى فى الماء لئلا يفضى الأمر لربه، وأن من قوى على ذلك خف عنه الهم والغم كما وقع في حالتى عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقولها: والله المستعان.

٤١- التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر، وذم الغيبة وذم سماعها وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه، وذم إشاعة الفاحشة، وتحريم الشك فى براءة عائشة.

٤٢- تأخير الحد عمن يخشى من إيقاعه به الفتنة، نبه على ذلك ابن بطال مستندا إلى أن عبدالله بن أبى كان ممن قذف عائشة ولم يقع فى الحديث

أنه ممن حد، وتعقـبة عياض بأنه لم يثبت أنـه قذف بل الذى ثبت أنه كان يستـخرجه ويستـوشيه، قلت: وقـد ورد أنه لم يثبت أنه قذف صـريحا، ووقع ذلك فى مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم وغيره وفى مرسل مقاتل بن حيان عند الحاكم في الأكليل.»[1] أ. هـ.

٤٣ـ تعديل النساء بعضهن بعضا (قاله البخاري).

٤٤ـ حمل الرجل أمرأته فى الغزو دون بعض نسائه (قاله البخاري).

قلت: والرائع في هذه القصة براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

---

(١) الفوائد مـن (١ حتى ٤٢) من فتح البـاري (٧/ ٤٧٩ـ ٤٨١)، ولمزيد من الفوائد انظـر زاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن القيم رحمه الله (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٨).

٣٦- صلح الحديبية

* عن المسْور بن مَخرمة ومروان بن الحكم، يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغَميم فى خيل لقريش طليعةً، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرة الجيش، فأنطلق يَرْكض نذيراً لقريش».

وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثَّنيّة التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حل، فألحت، فقالوا: خَلأت القصواء خلأت القصواء. فقال رسول الله ﷺ: «ماخَلأت القصواء وما ذاك لها بخُلق، ولكن حبَسها حابسُ الفيل». ثم قال: «والذى نفسى بيده لا يسألوني خطةً يعظّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». ثم زجرها فوثبت.

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناسُ تبرضاً فلم يُلبِّثه الناسُ حتى نزَحوه، وشُكى إلى الله ﷺ العطشُ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يَجيش لهم بالرِّيّ حتى صدَروا عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عَيْبَة نُصحِ رسول الله ﷺ من أهل تهامة ـ فقال: إني تركت كعبَ بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعدادَ مياه الحديبية معهم العُوذ المطَافيل، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت.

فـقال النبي ﷺ: «إنا لم نَجيء لقـتـال أحد، ولكن جـئنا مُعْـتمـرين، وإنّ قريشـا قد نَهكتهم الحربُ وأضـرَّت بهم، فإن شاءوا مـادَدْتهم مدةً ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهـر فإن شاءوا أن يدخلوا فـيما دخل فيـه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفردَ سالفَتى، ولَيَنْفذن أمرُ الله».

قال بُديل: سأبلغهم ما تقول. فإنطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسـمعناه يقـول قولا، فإن شـئتم أن نَعْـرضه عليكم فـعلْنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأى منهم: هات ماسمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ.

فقام عـروة بن مسعود فقال: أيْ قـوْم، ألستُ بالوالد؟ قالوا: بلى قال: أو لستم بالولد؟ قـالوا بلى. قال: فهل تتهـموني؟ قالوا: لا. قال: ألسـتم تعلموني أني استنفرت أهلَ عكاظَ فلما بَلَّحـوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قـالوا: بلى. قـال: فإنّ هذا قـد عـرَض لكم خطةَ رُشْـدْ اقبلوهـا ودعونى آتيـه. فقالوا: ائته.

فأتاه، فـجعل يكلم النبي ﷺ، فـقال النبي ﷺ نحواً مـن قوله لُبدَيل فـقال عروة عند ذلك: أيْ محـمد، أرأيت إن استأصلتَ أمرَ قومك هل سـمعت بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهاً وإنى لأرى أشْواباً من الناس خَليقاً أن يَفرُّوا ويدَعوك.

فقـال له أبوبكر: امصَصْ بظرَ اللات! أنحن نفرُّ عنه وندَعـه؟ ! قال: من ذا؟ قـالوا: أبوبكر. قـال: أمـا والذي نفـسي بيـده لولا يدٌ كـانت لك عندي لم أَجْزك بها لأجبتك.

قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفر، فكلما أَهْوَى عروةُ بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يدَه بنعل السيف وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه فقال. من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أيْ غُدَر ألستُ أسعى في غَدْرتك!

وكان المغيرة بن شعبة صَحِب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأَقْبل، وأما المال فلستُ منه في شيء».

ثم إن عروة جعل يَرْمق أصحابَ رسول الله ﷺ بعينيه، قال: فوالله ماتنخَّم رسول الله ﷺ نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمَرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يُحدُّون إليه النظرَ تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيت ملكا قط يعظِّمة أصحابه ما يعظِّم أصحابُ محمد محمداً؛ والله إنْ تنخَّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يُحدُّون النظر إليه تعظيما له، وإنه قد عرضَ عليكم خطة رشد فأقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون البُدْن فأبعثوها له» فبُعثت له وأستقبله الناس يلبُّون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله

ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلّدت وأُشْعرت، فما أرى أن يُصدوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص فقال: دعوني آتيه. قالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: «هذا مِكْرز وهو رجل فاجر». فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

قال معمر: فأخبرني أيوب، عن عكرمة، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ: « لقد سُهِّل لكم من أمْركم ».

قال مَعْمَر: قال الزهري في حديثه: فجاء سُهيل فقال: هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتبَ فقال النبي ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أمَا الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم».

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسولُ الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله. فقال رسول الله ﷺ: «والله إني رسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبدالله».

قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خُطةً يعظِّمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها».

فقال النبي ﷺ: «على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به».

قال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أُخذنا ضغطةً ولكن ذلك من العام المقبل

فكتب: فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلما.

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسف فى قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أُقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ: «إنا لم نَقْض الكتاب بعد».

قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً.. قال النبي ﷺ: «فأجزه لي». قال ما أنا بمجيزه لك. قال: «بلى فافعل». قال: ما أنا بفاعل. قال مِكْرزَ: بلى قد أجزناه لك.

قال أبوجندل: أيْ معشرَ المسلمين أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألاَ ترون ما قد لقيت؟! وكان قد عذِّب عذاباً شديداً في الله. فقال عمر رضي الله عنه: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نُعْطِى الدَّنِيَّة في ديننا إذن؟.

قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصِري» .

قلت: أو لستَ كنت تحدِّثنا أنا سنأتي البيتَ فنطوف به؟ قال: « بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العامَ » ؟ قال: قلت: لا. قال: « فإنك آتيه ومُطَوِّف به ».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: ياأبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً. قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلى. قال: قلت: فلم نعطى

الدَّنيـة فى ديننا إذن. قـال: أيهـا الرجل إنـه لرسـول الله وليس يعـصي ربهً وهو ناصره، فاستمسكْ بغَرْزه فوالله إنه على الحق.

قلت: أليس كان يحدّثنا أنا سنأتى البيتَ ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام. فقلت: لا. قال: فإنك آتيه ومُطوّف به.

قال الزهرى: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالا.

قال: فلمـا فرغ من قضـية الكتاب قال رسـول الله ﷺ لأصحابه: «قـوموا فأنحروا ثم احلقوا».

قال: فـوالله ما قام منهم رجل، حـتى قال ذلك ثلاثَ مـرات، فلما لم يقم منهم أحـد دخل على أم سلمة فـذكر لهـا ما لقى من الناس؛ فـقالت أم سلـمة: يانبيّ الله أتحب ذلك؟ أخـرج ثم لا تكلِّم أحـداً منهم كلمـة حـتى تنحـر بُدْنَك وتدعو حالقَك فيَحْلقك.

فـخرج فلم يـكلم أحداً منهـم حتى فـعل ذلك: نحـر بُدْنه ودعـا حالقـه فحلقـه، فلما رأوا ذلك قـاموا فنحروا، وجـعل بعضهم يحـلق بعضا حـتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

ثم جاءه نسوة مؤمنات فـأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجرات فامتحنوهن ﴾ حتى بلغ« بعَصم الكوافر » فطلق عمر يومئذ إمرأتين كـانت له في الشِّرك. فتـزوج إحدهما معـاوية بن أبي سفيـان والأخرى صفوان بن أمية.

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينـة، فجـاءه أبوبَصـير، رجل من قـريش، وهو مـسلم فأرسلوا في طلبـه رجلين فـقالوا: العـهدَ الـذي جعلت لنا. فـدفعـه إلى الرجلين، فخـرجا به حتى بلغـا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فـقال أبو

بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيدا. فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربتُ به ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني إليه. فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: « لقد رأى هذا ذُعرا ».

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قـتُل والله صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبوبصير فقال: يانبي الله قد والله أوْفَى اللهُ ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبي ﷺ: « وَيلْ أمه! مسْعَرَ حربٍ لو كان له أحدٌ »!

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر.

قال: وينفلت منهم أبو جَندل بن سُهيل بن عمرو فلحق بأبي بَصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم.

فأرسلتْ قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لـمّا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم. فأنزل الله تعالى: ﴿ وهو الذى كفَّ أيْدِيَهُمْ عنكم وأيديكُمْ عنهم ببطن مكة من بعد أن أظْفَركم عليهم ﴾ حتى بلغ: ﴿ الحميَّة حمية الجاهلية ﴾.

وكانت حَميّتهم أنهم لم يقرُّوا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

تخريج الحديث:
أخرجه البخارى (٥/ ٣١٢، ٣٢٩ـ ٣٣٣، ٧/ ٤٥٣ الفتح) والنسائي في الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٨/ ٣٧٤).

غريب القصة:

ـ **الغميم**: موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة.

ـ **قترة الجيش**: أى غباره الأسود.

ـ **الثنية**: طريق في الجبل تشرف على الحديبية.

ـ **حل حل**: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير، وتعني الزجر.

- **فألحت**: أي تمادت الناقة في البروك ولم تتحرك.

ـ **خلأت القصواء**: القصواء اسم لناقة النبي ﷺ، وخلأت يعنى حرنت وبركت.

ـ **حابس الفيل**: أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس فيل أبرهة عندما أراد غزو الكعبة وهدمها، فلما وصل أبرهة بجيشة من اليمن ووصل إلى مكان يقال له المُغَمَّس حرن الفيل وتصعب على الجيش أن يتقدم به، فكان يهرول مدبراً جهة اليمن وهم ينهرونه ليتقدم إلى مكة، وهو يأبى حتى أهلكهم الله بطير أبابيل، ولهذا يقول أمية بن أبى الصلت:

حبسَ الفيل بالمُغمَّس حتى صار يحْبُو كأنَّه مَعْقُور

ـ **يتبرضه**: أى يأخذه.

ـ **عيبة نصح رسول الله**: أى موضع سره وأمانته.

ـ **العوذ المطافيل**: أى النوق ذات اللبن.

ـ **جَمُّوا**: استراحوا من جهد القتال.

ـ **سالفتي**: السالفة أى تنفصل رقبتى أى أموت، أو حتى أموت وأبقى منفردا فى قبرى.

- **بلحوا**: أي امتنعوا أو عجزوا.
- **أشوابا**: الأشواب الأخلاط من الناس.
- **امصص بظر اللات**: اللات اسم أحد الأصنام التى كانت قريش وثقيف يعبدونها، والبظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بنسبة الأم فأراد أبوبكر المبالغة في سب عروة باقامة من كان يعبد مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار.
- **نعل السيف**: أى ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها.
- **أى غُدَر ألستُ أسعى فى غَدْرتك**: أي ألست أسعى في دفع شر خيانتك ببذل المال، وللمغيرة قصة مشهورة (انظر الفتح ٥/ ٢٤١).
- **يرسف**: أي يمشي مشيا بطيئا بسبب القيد.
- **غرزه**: وهو للابل بمنزلة الراكب للفرس أى فتمسك بأمره ولا تخالفه كما يتمسك المرء بركاب الفارس فلا يفارقه.
- **برد**: أي مات.
- **سيف البحر**: أى ساحله في موضع يسمى العيص على طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام.

الفوائد والعبر:

١ـ جواز الاستتار عن طلائع المشركين ومفاجأتهم بالجيش طلبا لغرتهم.

٢ـ جواز السفر وحده للحاجة.

٣ـ جواز التنكيب عن الطريق السهلة إلى الوعرة للمصلحة.

٤ـ جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها ويرد على من نسبه إليها، ومعذرة من نسبه إليها ممن لا يعرف صورة حاله.

٥ـ جواز التصرف في ملك الغير بالمصلحة بغير إذنه الصريح إذا كان سبق منه ما يدل على الرضا بذلك، لأنهم قالوا حل حل فزجروها بغير إذن ولم يعاتبهم عليه [1].

٦ـ دفع الظلم حتى لو كان على بهيمة، فانظر كيف يدافع النبي ﷺ عن القصواء عندما قيل عنها ما ليس فيها.

٧ـ ضرب المثل واعتبار من بقي بمن مضى.

٨ـ جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارا على غيرهم، ولا يعد ذلك من موالاة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم، وتقليل شوكة جمعهم ونكاء بعضهم ببعض، ولا يلزم من ذلك الاستعانة بالمشركين على الأطلاق.

٩ـ جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.

---

(١) الفوائد من (١ إلى ٥) قالها ابن بطال وغيره، انظر الفتح (٥/ ٣٣٥، ٣٣٦)

١٠ـ جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو، ولا يعارضه النهى عن القيام على رأس الجالس لأن محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبر.

١١ـ لا يحل أخذ أموال الكفار في الحال الأمن غدرا لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة، والأمانة تؤدى إلى أهلها مسلما كان أو كافرا، وأن أموال الكفار إنما تحل بالمحاربة والمغالبة، ولعل النبي ﷺ ترك المال فى يده [أي المغيرة بن شعبة] لامكان أن يسلم قومه فيرد إليهم أموالهم.

١٢ـ إن الحربى إذا أتلف مال الحربي لم يكن عليه ضمان، وهذا أحد الوجهين للشافعية.

١٣ـ فيه طهارة النخامة والشعر المنفصل.

١٤ـ جواز التواصل إلى المقصود بكل طريق سائغ.

١٥ـ وفي قصة عروة بن مسعود من الفوائد ما يدل على جودة عقله ويقظته، وما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره.

١٦ـ جواز المخادعة في الحرب وإظهار إرادة الشيء والمقصود غيره، وفيه أن كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم، وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا من دبن إبراهيم عليه السلام.

١٧ـ جواز كتابة [هذا ما قاضى] مثل ذلك فى المعاهدات والرد على من منعه معتلا بخشية أن يظن فيها أنها نافية، نبه عليه الخطابى.

١٨ـ إن الاعتبار في العقود بالقول ولو تأخرت الكتابة والإشهاد، ولأجل ذلك

أمضى النبي ﷺ لسهيل الأمر فى رد ابنه إليه، وكان النبي ﷺ تلطف معه بقوله" لم نقض الكتاب بعد" رجاء أن يجيبه لذلك ولا ينكره بقية قريش لكونه ولده، فلما أصر على الامتناع تركه له.

١٩ـ إن للمسلم الذي يجيء من دار الحرب فى زمن الهدنة قتل من جاء فى طلب رده إذا شرط لهم ذلك، لأن النبي ﷺ لم ينكر على أبى بصير قتله العامرى ولا أمر فيه بقود ولا دية، والله أعلم.

٢٠ـ وفي قصة أبي بصير من الفوائد جواز قتل المشرك المعتدى غيلة، ولا يعد ما وقع من أبي بصير غدرا لأنه لم يكن فى جملة من دخل فـي المعاقدة التى بين النبي ﷺ وبين قريش، لأنـه إذ ذاك كان محبوسا بمكة، لكنه لما خشى أن المشرك يعيده إلى المشركين درأ عن نفسه بقتله، ودفع عن دينه بذلك، ولم ينكر النبي قوله ذلك.

٢١ـ إن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية.

٢٢ـ وفيه أنه كان لا يرد على المشركين من جاء منهم إلا بطلب منهم، لأنهم لما طلبوا أبا بصير أول مرة أسلمه لهم، ولما حضر إليه ثانيا لم يرسله لهم، بل لو أرسلوا إليه وهو عنده لأرسله، فلما خشى أبو بصير من ذلك نجا بنفسه.

٢٣ـ إن شرط الرد أن يكون الذى حضر من دار الشرك باقيا في بلد الإمام، ولا يتناول من لم يكن تحت يد الإمام ولا متحيزا إليه.

٢٤ـ إن ذا الحليفة ميقات أهل المدينة للحاج والمعتمر.

٢٥ـ إن تقليد الهدي وسوقه سنة للحاج والمعتمر فرضا كان أو سنة، وأن الإشعار سنة لا مثلة.

٢٦ـ وأن الحلق أفضل من التقصير، وأنه نسك في حق المعتمر محصورا كان أو غيـر محصـور، وأن المحصر ينحـر هديه حيث أحصـر ولو لم يصل إلى الحرم، ويقـاتل من صده عن البيت، وأن الأولى في حقـه ترك المقاتلة إذا وجد إلى المسألة طريقا.

٢٧ـ جواز سبي ذراري الكفار إذا انفردوا عن المقاتلة ولو كان قبل القتال.

٢٨ـ استحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدي الجيش.

٢٩ـ الأخذ بالحزم في أمر العدو لئلا ينالوا غرة المسلمين.

٣٠ـ فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأي واستطابة قلوب الأتباع.

٣١ـ جواز بعض المسامحة في أمر الدين، واحتمال الضيم فيه ما لم يكن قادحا في أصله إذا تعين ذلك طريقا لـلسلامة في الحال والصـلاح في المآل سواء كـان ذلك في حـال ضعـف المسلمين أو قـوتهم، وأن التـابع لا يليق به الاعتـراض على المتبـوع بمجرد مـا يظهر في الحـال بل عليه التـسليم لأن المتبوع أعرف بمآل الأمـور غالبا بكثرة التجربة ولا سـيما مع من هو مؤيد بالوحي [١].

(١) الفوائد من (٧ إلى ٣١) من الفتح لابن حجر.

٣٧- استشهاد عامر بن الأكوع رضي الله عنه

* عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تُسمعنا من هُنَيهاتك؟ وكان عامر رجلا شاعراً. فنزل يحدو بالقوم يقول:

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تَصَدَّقنا ولا صلَّيناَ
فاغفر فداءً لك ما أبقَينا ... وألقينْ سكينةً علينا
وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا ... إنا إذا صيحَ بنا أبيناَ
وبالصياح عوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق»؟ قالوا: عامر بن الأكوع قال: «يرحمه الله»! فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا أمتعْتَنا به!

فأتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة. ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذه النيران على أي شيء توقدون»؟ قالوا: على لحم. قال: «على أي لحم»؟ قالوا: لحم الحمر الإنسية. قال النبي ﷺ: «أهريقوها وأكسروها». فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها؟ فقال: «أو ذاك». فلما تصافَّ الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه، فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال: «مالك»؟ قلت: فداك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله. قال النبي ﷺ: «كذب من قاله، إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهدٌ مجاهد قلَّ عربي مشي بها مثلَه».

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٤/ ٤٨) والبخاري (٥/ ١٢١، ٧/ ٤٦٣، ٤٦٤، ١٠/ ٥٣٧، ٩/ ٦٢٢، ١١/ ١٣٥؛ ١٢/ ٢١٨ الفتح) ومسلم (٤/ ١٤٣٣، ١٥٤٠) وابن ماجه (٣١٩٥).

غريب القصة:

- **عامر بن الاكوع**: هو ابن سنان بن عبدالله الأسلمي المعروف بابن الاكوع قيل إنه عم سلمة بن الأكوع، ويقال أخوه، قال ابن الأثير: "الصحيح أن عامراً عم سلمة وليس بأخ له"، وقال ابن حجر: "يمكن التوفيق أن يكون أخاه من أمه على ما كانت الجاهلية تفعله أو من الرضاعة".

كان عامر شاعراً، ومات بسلاحه فى خيبر، وشهد له الرسول ﷺ بالأجر المضاعف والجهاد في سبيله. (أسد الغابة ٣/ ١٢٤ ـ الإصابة ٢/ ٢٤٢).

- **هنيهاتك**: الهنيهات جمع هنيهة وهى تصغير هنة.
- **يحدو**: قال صاحب المصباح المنير: حدوت بالإبل أحدو حدوا حثثتها على السير بالحداء مثل غراب وهو الغناء لها، وقال ابن حجر: "الحداء سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، والحداء فى الغالب إنما يكون بالرجز وقد يكون بغيره من الشعر، ولذلك عطفه على الشعر والرجز، وقد جرت عادة الإبل أنها تسرع السير إذا حدى بها". قلت: ومن شاء التفصيل في حكم الغناء والحداء ينظر كتاب "تحريم آلات الطرب" الفصل السابع للعلامة الألباني.
- **مخمصة**: مجاعة شديدة.
- **من هذا السائق**: قال ابن حجر: "في رواية أحمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب، وهذه كانت عادتهم إذا ارادوا تنشيط الإبل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في ذلك الحال".
- **ذباب سيفة**: طرفه الأعلى وقيل حده.

- **قفلوا**: أي رجعوا.

- **كذب من قاله**: أي أخطأ.

- **جاهد مجاهد**: قال ابن دريد: رجل جاهد أي جاد في أموره، وقال ابن التين: الجاهد من يرتكب المشقة، ومجاهد أي أعداء الله تعالى.

- **قل عربي مشى بها مثله**: أي في الأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة (الفتح ٧/ ٤٦٧).

الفوائد والعبر:

١- إذا قتل نفسه خطأ فلا دية له (قاله البخاري).

٢- تحريم لحوم الحمر الأنسية.

٣- جواز الحداء في الجهاد قال ابن حجر: (١٠/ ٥٣٨) "نقل ابن عبدالبر الاتفاق على إباحة الحداء، وفي كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه، ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة"، وانظر تفصيل هذا الموضوع كتاب العلامة الألباني "تحريم آلات الطرب" فإنه فريد في بابه.

٤- تفقد رسول الله ﷺ أصحابه وإدخال السرور في نفوسهم.

٥- قولهم كذب لا تعني الكذب المذموم دائما، وإنما تعني أحياناً الخطأ.

٦- نجاسة لحم الحمر الأهلية لأن فيه الأمر بارقته، وهذا أبلغ في التحريم (قاله العيني ١٣/ ٣٠).

٣٨- مقتل مرحب اليهودي لعنه الله

* عن إياس بن سلَمة بن الأكْوع عن أبيه، فذكر حديثاً طويلا وذكر فيه رجوعهم من غزوة بنى فَزارة. قال: فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. قال: وخرج عامر فجعل يقول:

والله لولا أنت ما أهتديْنا ... ولا تَصدَّقنا ولا صلَّيناَ

ونحن من فَضْلك ما استغنْينا ... فأنزلنْ سكينةً علينا

وثَّبت الأقدامَ إنْ لاقَيناَ

قال: فقال رسول الله ﷺ: « من هذا القائل»؟ فقالوا: عامر. فقال: « غفر لك ربك». قال: وما خصَّ رسول الله ﷺ قط أحدًا به إلا استُشْهد. فقال عمر وهو على جمل: لولا متَّعتنا بعامر!

قال: فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:

قد علمتْ خيبرُ أنى مَرْحَبُ ... شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ

إذا الحروبُ أقبلتْ تَلهَّبُ

قال: فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خيبرُ أنى عامرُ ... شاكى السلاح بطلٌ مغامرُ

قال: فأختلفا ضربتين، فوقع سيف مَرْحب فى ترُسْ عامر فذهب يسَفْل له، فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفْسه.

قال سلمة: فخرجتُ فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بطل عملُ عامر قتلَ نفسَه!

قال: فأتيت رسولَ الله ﷺ وأنا أبكي فقال: «مالك»؟ فقلت: قالوا: إن عامراً بطل عملُه. فقال: «من قال ذلك»؟ فقلت: نفر من أصحابك. فقال: «كذب أولئك، بل له الأجرُ مرتين».

قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه يدعوه وهو أرْمد وقال: «لأعطينَّ الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله». قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ، فأعطاه الراية، فبرز مَرحب وهو يقول:

قد علمتْ خيبرُ أني مَرْحبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

إذا الحروب أقبلت تلهبُ

قال: فبرز له عليٌ وهو يقول:

أنا الذى سمَّتنى أمى حَيدره ... كليث غابات كريه المَنْظَره

أوفيهم بالصاع كيلَ السَّنْدَره

قال: فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله. وكان الفتح.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم (١٨٠٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٤/٢٠٧ـ ٢٠٩) واللفظ له، وأما قصة موت عامر فتقدم تخريجها قريبا برقم (٣٧).

غريب القصة:

- **عامر:** هو عامر بن الأكوع تقدمت ترجمته قريباً.

- **يخطر بسيفه:** أي يرفعه مره ويخفضه أخرى.

- **شاكي السلاح:** أي تام السلاح، وشــاكّ في السلاح من الشوكـة وهى القوة قال تعالى: ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ [الأنفال: ٧] أي تريدون (أنّ غيـرَ ذاتِ الشوكـة تكونُ لكم) أي العيـر التي ليس فيـها قتال، والشوكة: الشدة والقوة، ويقال السلاح.

- **يسفل:** أي يضربه من أسفله.

- **ارمد:** الرمد مرض يصيب العين بالاحمرار والحرقة.

- **حيدره:** اسم الأسد.

- **أوفيهم بالصاع كيل السندرة:** أى أقتل الأعداء قتلا بليغا، والسندرة مكيال واسع.

الفوائد والعبر:

١ـ تقدم بعضها قريبا برقم (٣٧).

٢ـ جواز المبارزة.

٣ـ من مناقب علي رضي الله عنه وشجاعته.

٤ـ بركة النبي ﷺ، وبعض دلائل نبوته.

٥ـ جواز اظهار قوة الشخص وذكر مناقبه ليخيف بها العدو ويدخل الرعب في قلبه.

٦ـ انشاد الشعر والرجز والحداء من وسائل النصر المعنوية فى الجهاد.

٣٩- الرسول يقرّ يهود خيبر في أرضها

* عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قاتَل أهلَ خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يَجْلوا منها ولهم ماحملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء، ويخرجون منها، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يُغَيِّبوا شيئا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد.

فغيَّبوا مَسْكاً فيه مالٌ وحُلي لَحييّ بن أَخْطب، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أُجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ حينئذ: «ما فَعل مسْكُ حيي الذي جاء به من النضير»؟ فقال: أذهبته النفقاتُ والحروب. فقال: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك» فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسَّه بعذاب، وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة، فقال: قد رأيت حُيياً يطوف في خربة هاهنا. فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة.

فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبَى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنَّكْث الذي نَكثوا.

وأراد إجلاءهم منها، فقالوا: يا محمد دَعنْا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها. ولم يكن لرسول الله ولا لأصحابه غلال يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشَّطْر من كل زرع ونخيل وشيء، ما بدا لرسول الله ﷺ.

وكان عبدالله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام فيخَرِّجها عليهم، ثم يُضمنهم الشطْر، فشكَوا إلى رسول الله ﷺ شدةَ خَرْصه، وأرادوا أن يَرْشوه فقال:

يا أعداء الله تطعمـوني السُّحت! والله لقد جـئتكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغضُ إليّ من عـدَّتكم من القردة والخنازير، ولا يَحْملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم.

فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض!

قال: فـرأى رسول الله ﷺ بعين صـفيـة خُضرة، فـقال: «ياصـفيـة ما هذه الخضرة»؟ فقـالت: كان رأسي فى حجر ابن أبي الحقَيق وأنا نـائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تتمنَّين مَلِك يثرب.

قالت: وكـان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ، قَتل زوجي وأبي فـما زال يعتـذر إليّ ويقول: «إن أباك ألَّب عليَّ العـربَ وفعل ما فـعل»، حتى ذهب ذلك من نفسي.

وكان رسـول الله ﷺ يعطي كلَّ امرأة من نسـائه ثمانين وَسـقاً من تمر كل عام وعشـرين وَسقاً من شعير، فلمـا كان في زمان عمر غـشُّوا المسلمين وألقوا ابنَ عمر من فوق بيت ففَدعوا يديه، فقال عمر: من كان له سهمٌ بخيبر فليحضر حتى نقسمـها. فقسمها. بينهم. فـقال رئيسهم: لا تُخرجنا دَعْنا نكون فيـها كما أقرَّنـا رسول الله ﷺ وأبوبكر. فقال عمر: أتراني سقطَ عليَّ قولُ رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا وقَصَتْ بك راحلتُك نحوَ الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً».

وقسمها عمر بيْن مَن كان شَهد خيبرَ من أهل الحديبية.

درجة الحديث:

صححه ابن حبان، وهو كذلك إن صدق ظن حماد.

غريب القصة:

- **يجلوا**: أي يرحلوا.
- **الصفراء والبيضاء**: الذهب والفضة.
- **مسكا**: الجلد.
- **النكث**: نقض العهد.
- **خرصه**: حزر ما عليهم من الرطب والعنب وغير ذلك.
- **فدعوا يديه**: الفدع اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل.
- **وقصت**: أسرعت.

تخريج الحديث:

أخرجه ابن حبان (١٦٩٧ـ الموارد) والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٢٩ـ٢٣١) والسنن الكبرى (٦/ ١١٤) من طريق حماد بن سلمة أنبأ عبيدالله بن عمر- فيما يحسب أبوسلمة ـ(حماد) عن نافع عن ابن عمر.

وأخرجه أبو داود في شطره الأول (٣٠٠٦) وحسنه الألباني في صحيح أبى داود (٣٥٩٧).

وقال البيهقى: استشهد البخارى فى كتابه فقال: رواه حماد بن سلمة.

قلت: وهذا الاستشهاد في كتاب الشروط باب (١٤) (٥/ ٣٢٧ الفتح).

والحديث أخرجه مختصرا كلٌ من أحمد (٢/ ١٧، ٢٢, ٣٧) والبخاري (٤/ ٤٦٢، ٥/ ١٠، ٦/ ٢٥٢ الفتح) ومسلم (١٥٥١) وأبوداود (٣٤٠٨) وابن ماجه (٢٤٦٧).

الفوائد والعبر:

١ـ جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع، كما عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على ذلك، واستمر ذلك إلى حين وفاته لم يُنسخ البتة، واستمر عمل خلفائه الراشدين عليه، وليس هذا من باب المؤاجرة في شيء، بل من باب المشاركة، وهو نظير المضاربة سواء، فمن أباح المضاربةَ، وحرَّم ذلك، فقد فَرق بين متماثلين.

٢ـ أنه دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من أموالهم، ولم يدفع إليهم البَذْرَ، ولا كان يَحمِلُ إليهم البَذْرَ من المدينة قطعا، فدل على أن هديه عدمُ اشتراط كون البذر من ربّ الأرض، وأنه يجوز أن يكون من العامل، وهذا كان هدي خلفائه الراشدين مِن بعده، وكما أنه هو المنقول، فهو الموافق للقياس، فإن الأرض بمنزلة رأس المال في القِراض، والبِذر يجري مجرى سقي الماء، ولهذا يموتُ فى الأرض، ولا يرجعُ إلى صاحبه، ولو كان بمنزلة رأس مال المضاربة لاشتُرطَ عودُه إلى صاحبه، وهذا يُفسدُ المزارعة، فعلم أن القياس الصحيح هو الموافق لهدي رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين في ذلك، والله أعلم.

٣ـ خَرْصُ الثمار على رؤوس النخلْ وقسمتها كذلك، وأن القسمة ليست بيعا.

٤ـ الاكتفاء بخارص واحد، وقاسم واحد.

٥ـ جواز عقدِ المُهادنة عقدا جائزا للإمام فسخُه متى شاء.

٦ـ جواز تعليق عقد الصلح والأمان بالشرط، كما عقد لهم رسول الله ﷺ

بشرط أن لا يُغيّبوا ولا يكتُموا.

٧- جواز تقرير أرباب التُّهم بالعقوبة، وأن ذلك من الشريعة العادلة لا من السياسة الظالمة.

٨- الأخذ في الأحكام بالقرائن والأمارات، كما قال النبي ﷺ لكنانة: "المالُ كَثيرٌ والعهدُ قريبٌ"، فاستدل بهذا على كذبه في قوله: أذهبته الحروبُ والنفقة.

٩- إن من كان القولُ قوله إذا قامت قرينةٌ على كذبه، لم يُلتفت إلى قوله، ونُزِّلَ منزلة الخائن.

١٠- إن أهل الذمة إذا خالفوا شيئا مما شُرِطَ عليهم، لم يبق لهم ذِمة، وحلت دماؤهم وأموالهم، لأن رسول الله ﷺ عقد لهؤلاء الهُدنة، وشرط عليهم أن لا يُغيِّبوا ولا يكتموا، فإن فعلوا حلّت دماؤهم وأموالُهم، فلما لم يفُوا بالشرط، استباحَ دماءَهم وأموالهم، وبهذا اقتدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الشروط التي اشترطها على أهل الذمة، فشرط عليهم أنهم متى خالفوا شيئا منها، فقد حلَّ له منهم ماحل يَحِلُّ مِن أهل الشقاق والعَداوة.

١١- إن الإمام مخير في أرض العنوة بين قِسمتها وتركها، وقَسْم بعضها، وتَرْك بعضها.

١٢- جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغْنى عنهم كما قال النبي ﷺ: "نقركم ما أقركم الله" وقال لكبيرهم: "كيف بك إذا رقصت

بك راحلتك نحو الشــام يوما ثُمَّ يوما"، وأجلاهم عمــرُ بعد موته ﷺ، وهو مذهبُ محــمد بن جرير الطبرى، وهو قــولٌ يسوغُ العملُ به إذا رأى الإمام فيه المصلحة.

١٣ـ جواز عتق الرجل أمــتَه، وجعلِ عِتقها صــدَاقا لها، ويجعلها زوجــتَه بغير إذنها، ولا شهود، ولا ولي غيره، ولا لفظ إنكاح ولا تزويج.

١٤ـ جواز بناء الرجل بامرأته فى السفر، وركوبها معه على دابة بين الجيش[1].

(١) هذه الفوائد من زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣٤٥- ٣٥٠) بتصرف.

٤٠- قدوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة

* عن أبى موسى قال: بلغَنا مَخْرجُ النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم، أحدهما أبوبُردة والآخر أبورُهْم،إما قال: فى بضْع، وإما قال: فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى.

فركبنا سفينةً فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافَقْنا جعفرَ بن أبى طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، فكان أناسٌ من الناس يقولون لنا ـ يعنى لأهل السفينة ـ : سبقناكم بالهجرة.

ودخلت أسماء بنت عُميَس ـ وهى ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء: «من هذه»؟ قالت: أسماء ابنة عميس. قال عمر: آلحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار ـ أو فى أرض ـ البُعداد والبُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاءت النبى ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا. قالت: قال: « فما قلت له؟» قال: قلت كذا وكذا. قال: « ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان».

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرحُ ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ.

قال أبو بُرْدة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسي وإنه ليستعيد هذا الحديث مني. وقال أبوبردة عن أبي موسى: قال النبي ﷺ « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقى العدو ـ أو قال الخيل ـ قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم».

غريب القصة:

ـ **البعداء البغضاء**: قال العلماء: البعداء في النسب، البغضاء فى الدين لأنهم كفار إلا النجاشى، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم.

ـ **أرسالا**: أفواجا ناسا بعد ناس.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (٦/ ٢٣٧، ٧/١٨٨، ٤٨٤ الفتح) ومسلم (٢٥٠٢) وأخرج بعضه أبوداود (٢٧٢٥) والترمذي (١٥٥٩).

- **الحبشة**: أرض بالجانب الغربي من بلاد اليمن ومسافتها طويلة جدا وهم أجناس وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة، وكان في القديم يلقب بالنجاشي، وأما اليوم فيقال له الحطى بفتح المهملة وكسر الطاء المهملة الخفيفة بعدها تحتانية خفيفة، ويقال انهم من ولد حبش بن كوش بن حام. .(الفتح ٧/ ١٩٠، ١٩١).
- **الرفقة**: الجماعة المترافقون.

الفوائد والعبر:

١- فضل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينهم رضى الله عنهم.

٢- حسن خلق أسماء بنت عميس رضى الله عنها.

٣- فرح الصحابة وتنافسهم فى الخير والعمل الصالح.

٤- تفقد رسول الله ﷺ لأصحابه ومعرفته بهم.

٥- ما كان عليه الصحابه من قيام لليل.

٦- رفع الصوت بالقرآن أمر مستحسن ما لم يؤذ أحدا وأمن من الرياء؛ قال ابن حجر: (٧/ ٤٨٧) " رفع الصوت بالقرآن بالليل مستحسن لكن محله إذا لم يؤذ أحدا وأمن من الرياء".

٧- فضل الأشعريين رضي الله عنهم.

٤١- قصة الحجاج بن علاط ودخوله مكة لأخذ ماله

* عن أنس قال: لما افْتَتَحَ رسولُ الله ﷺ خيبرَ قال الحَجَّاجُ بْن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهْلاً وإني أريد أن آتيهُمْ أفأنا في حَلٍّ إنْ أنَا نلْتُ منْكَ أو قُلْت شيئاً؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ماشاء. فأتى إمرأتهُ حين قَدم فقال: اجْمَعي لي ما كان عنْدك فأني أُريدُ أن أشتري منْ غنائم مُحمد وأصحابه فإنهُم قد استُبيحُوا وأُصيبَتْ أموالُهُمْ. قال: وفشى ذلك بمكة فانقمعَ المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسروراً، قال: وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم. قال معمر: فأخبرني عثمان الخزرجي عن مقسم قال: فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول:

حبّى قُثَمْ شَبيهُ ذي الأَنْف الأشَمّ   بني ذي النَّعم برَغْم من زَعم

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى حجاج بن علاط فقال: ويلك ماجئت به وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، فقال حجاج بن علاط: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على مايسره، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال: أبشر ياأبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال حجاج فأعتقه، قال: ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي واتخذها لنفسه، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، قال: ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به فاستأذنت

رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ماشئت، فأخف علي ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك. قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا كذا، وقالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما احببنا، فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقا؟ قال: فإني صادق والأمر على ما أخبرتك، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال: لم يصبني إلا خير بحمد الله، أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب، قال: فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر، فسر المسلمون وردّ ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين.

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه ابن حبان، وقال ابن كثير: هذا الإسناد على شرط الشيخين.

وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

تخريج الحديث:

أخرجه عبد الرازق في المصنف (٩٧٧١) ومن طريقه أحمد (٣/ ١٣٨، ١٣٩) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١/ ١٥٣) والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٠٧-٥٠٩) والبزار (١٨١٦- كشف)=

غريب القصة:

- **خيبر**: مدينة كبيرة تبعد عن المدينة ثمانية برد لمن يريد الشام، ذات حصون ومزارع ونخل كثير، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، وقيل سميت باسم رجل من العماليق.
- **الحجاج بن علاط**: بكسر المهملة وتخفيف اللام ابن خالد السلمى ثم الفهرى، وهو والد نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب عندما سمع أم الحجاج ابن يوسف تذكره وتتشبب به ليلا؛ قدم على رسول الله ﷺ وهو بخيبر فأسلم وحسن إسلامه، ومات فى خلافه عمر بن الخطاب رضى الله عنه.
- **انقمع المسلمون**: أى اصابتهم كآبة وغيظ وحزن.
- **معمر**: راوي الحديث.
- **عقر**: أي بقى مكانه لم يتقدم أو يتأخر، لفزعٍ أصابه، كأنه مقطوع الرجل.
- **صفية بنت حيي:** أرملة كنانة بن أبى الحقيق الذى هلك فى غزوة خيبر، وانظر ترجمتها بتوسع فى الإصابة (٤/ ٣٤٦)، وأسد الغابة.
- **انشمر به**: أسرع به.

= وأبو يعلى (٣٤٧٩) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٥١٣ الإحسان) والطبراني (٣/ ٢٢٠، ٢٢١) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٠، ١٥١) والدلائل (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧) ثنا معمر عن ثابت عن أنس.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٢١٧): "هذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب السته سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم عن عبدالرزاق به نحوه" أ.هـ

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥٤، ١٥٥) وقال: رواه أحمد، وأبويعلى، والبزار، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

الفوائد والعبر:

١- اليهود والمشركون أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين.

٢- فتح خيبر بعد اختراق حصونها المنيعة دليل على قوة إيمان المسلمين ورسوخ عقيدتهم.

٣- يجوز للمسلم أن يستخدم الخدع على الأعداء دفعاً للأخطار

٤- ممايستحب للإمام التسامح مع رعيته في النيل منه فى غيبته إذا كان فى ذلك صلاح أحوالهم فى الدين والدنيا.

٥- المؤمن كيس فطن لا تعييه الحيلة وحسن التدبير.

٦- أخذ الحذر والحيطه مع الأعداء من ضروريات النصر.

٧- الكافر والمنافق يفرح بمصاب المسلمين.

٨- الأخبار المحزنة لها أثر فى نفوس الناس، فرفع المعنويات من دواعى النصر.

٩- مشروعية تقسيم الغنائم.

١٠- شدة حب العباس لمحمد ﷺ.

١١- الوفاء بالوعد من شيم المسلم.

١٢- بعد الحزن والعسر يأتى مع الصبر الفرج.

١٣- المؤمن يبتلى على قدر دينة.

١٤- جواز زواج المسلم من أهل الكتاب.

١٥- تقدم أيضاً فوائد أخرى لهذه القصة في زواج النبي ﷺ من جويرية بنت الحارث رقم (٣٤) فانظرها غير مأمور.

٤٢- خروج النبي من مكة بعد قضاء عمرته

* عن البَراء قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة؛ فأبى أهلُ مكة أن يدَعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ماقاضى عليه محمدٌ رسول الله. قالوا: لا نقرُّ بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا، ولكن أنت محمد بن عبد الله. قال: « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله» ثم قال لعلي بن أبي طالب: « أُمْحُ رسولَ الله» قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يُحْسن يَكْتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيفُ في القراب، وألاَّ يَخْرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه، وألاَّ يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها.

فلما دخل ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنةُ حمزة تنادي: ياعم ياعم. فتناولها عليّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك. فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتُها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: « الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: « أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: « أشْبَهتَ خَلْقي وخُلُقي» وقال لزيد: « أنت أخونا ومولانا » قال علي: ألا تتزوج ابنة حمزة، قال: « إنها ابنة أخي من الرضاعة».

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (٥/ ٣٠٣، ٧/ ٤٩٩ الفتح) مطولا، والترمذي (٩٣٨) بالشطر الأول فقط، وقال: حسن صحيح.

غريب القصة:

ـ **فكتب**: أى أمر عليا أن يكتب لأن النبي ﷺ أميا لا يكتب قال تعالى: ﴿وما كنت تتلو من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ـ **خالتها تحتى**: خالتها أسماء بنت عميس، وتحتى أى زوجتى.

ـ **أنت مني وأنا منك**: فى النسب والصهر والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا. (الفتح ٧/٥٠٧).

ـ **أخونا ومولانا**: أي زيد بن حارثة، والأخوة هنا أخوة الإيمان، ومولانا أى عتيقنا.

الفوائد والعبر:

١ـ (دونك) كلمة من أسماء الأفعال تدل على الأمر بأخذ الشيء المشار إليه (الفتح ٧/٥٠٥).

٢ـ فيه دليل أمية النبي ﷺ، أما قوله: "فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب" معناه أمر علياً أن يكتب، والتعبير بكتب كثرت به الروايات، وتدل على أن غيره هو الذى يكتب كقوله: (كتب إلى قيصر - كتب إلى كسرى) ولمزيد من التفضيل انظر الفتح للحافظ ابن حجر.

٣ـ الخالة بمنزلة الأم فى الحنو والشفقة والاهتداء، وهى مقدمة فى الحضانة على العمة.

٤ـ تقديم أقارب الأم على أقارب الأب.

٥- تعظيم صلة الرحم بحيث تقع المخاصمة بين الكبار فى التواصل إليها.

٦- الحاكم يبين دليل الحكم للخصم، وأن الخصم يدلى بحجته.

٧- الحاضنة إذا تزوجت بقريب المحضونة لا تسقط حضانتها إذا كانت المحضونة أنثى أخذا بظاهر الحديث؛ قاله أحمد [1].

٨- من فضائل علي بن أبي طالب وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.

٩- تطييب الخواطر بالثناء الحسن في النزاع من محاسن تقريب القلوب.

(١) الفوائد من (٤ إلى ٧) من فتح الباري للحافظ ابن حجر.

٤٣- تخوف الأنصار من إقامة الرسول بمكة ورد الرسول عليهم

* عن عبد الله بن رباح قال: وفدتْ وفودٌ إلى معاوية أنا فيهم وأبوهريرة، وذلك فى رمضان، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعامَ، قال: وكان أبوهريرة يُكْثر ما يدعونا، قال هاشم: يكثر أن يدعونا إلى رَحْله. قال: فقلت: ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رَحْلى؟ قال: فأمرتُ بطعام يُصنع، فلقيت أبا هريرة من العشاء قال: قلت: يا أبا هريرة الدَّعوة عندى الليلة. قال: استبقتني؟ قال هاشم: قلت: نعم فدعوتهم فهم عندي.

فقال أبو هريرة: ألا أُعْلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار؟ فذكَر فتحَ مكة، قال: أقبل رسول الله ﷺ فدَخل مكة، قال: فبعث الزبير على أحد المجنّبتين وبعث خالدا على المُجَنَّبَة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحسْر، وأخذوا بطنَ الوادي، ورسول الله ﷺ فى كتيبته وقد وبشَتْ قريش أوْباشها، قال: قالوا: نقدِّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناه الذي سألنا.

قال أبوهريرة: فنظر فرآني فقال: « ياأبا هريرة » فقلت: لبيك رسول الله، فقال: « اهتف لي بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري» فهتفتُ بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ قال: فقال رسول الله ﷺ: « أترون إلى أوْباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: « احصُدوهم حصْدًا حتى تُوافوني بالصَّفا».

قال: فقال أبوهريرة: فأنطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ماشاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئا.

قال: فقال أبوسفيان: يا رسول الله أُبيحت خَضراءُ قريش، لا قريشَ بعد اليوم!.

قال: فقال رسول الله ﷺ « من أغلقَ بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال: فغلَّق الناس أبوابهم.

قال: وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجرَ فاستلمه، ثم طاف بالبيت قال: وفي يده قَوس آخذ بسيَة القوس، قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه. قال: فجعل يَطْعن بها في عينه ويقول: « جاء الحقُ وزَهق الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقا ».

قال: ثم أتى الصَّفا فعلاَه حيث يَنظر إلى البيت، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه.

قال: والأنصار تحت. قال: يقول بعضهم لبعض: أمّا الرجل فأدركتْه رغبةٌ في قريته ورأفةٌ بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يَخْفَ علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى.

قال هاشم: فلما قضى الوحى رفع رأسه، ثم قال: « يامعشر الأنصار، أقلتم: أمّا الرجلُ فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته؟ قالوا: قلنا ذلك يارسول الله. قال: « فما أُسمَّى إذاً؟! كلا إنى عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحْياَ مَحْياَكم والمماتُ مماتكم ».

قال: فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ماقلنا الذى قلنا إلا الضَّنَّ بالله ورسوله.

قال: فقال رسول الله ﷺ: « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعَذْرانكم ».

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٢، ٥٣٨) ومسلم (١٧٨٠) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٠/ ١٣٤).

غريب القصة:

- **هاشم**: راوى الحديث.
- **المجنَّبَتين**: هى الميمنة والميسرة.
- **الحسرْ**: أى الذين لا دروع لهم.
- **وبشَتْ**: أى جمعت جموعا من قبائل شتى.
- **فأطافوا**: أى فجاؤا وأحاطوا به.
- **قال بيديه احدهما على الأخرى**: أى أشار إلى هيئتهم المجتمعة.
- **أبيحت خـضراء قريش**: أى استـؤصلت قريش بالقتل وأفنيت، وخـضراؤهم بمعنى جماعـتهم، ويعبر عن الجمـاعة المجتمعة بالسـواد والخضره، ومنه السواد الأعظم.
- **بسية القوس**: أى بطرفها.
- **فما اسمى إذا**: قال القاضى: يحتمل هذا وجهين أحدهما أنه أراد ﷺ أنه نبى لإعلامى إياكم بما تحـدثتم به سرا؛ الثانى لو فعلت هذا الذى خـفتم منه وفارقتكم ورجعت إلى استيفنان مكة لكنت ناقضا لعهدكم في ملازمتكم ولكان هذا غير مطابق لما اشتق منه اسـمى وهو الحمد فإنى كنت أوصف حينئذ بغير الحمد.
- **إلا الضَّنَّ**: هو الشحّ.

الفوائد والعبر:

١ـ إطعام الطعام من وسائل المحبة والتعاون والألفة.

٢ـ ما كان عليه أبوهريرة رضي الله عنه من الكرم والجود.

٣ـ التنافس والتسابق على الخير.

٤ـ من وسائل الخطبة الناجحه شد الأنتباه واستخدام اسلوب الاستفهام.

٥ـ من سماحة الرسول ﷺ وحبه الشديد لإيمان الناس.

٦ـ ترتيب الجيش وتنظيمه من وسائل النصر.

٧ـ من دلائل النبوة.

٨ـ مراقبه الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام ومعرفتهم لحاله.

٩ـ حب الرسول ﷺ للأنصار.

١٠ـ الوفاء بالعهد من صفات المؤمن الحق.

٤٤- حديث أبي سفيان عن كتاب رسول الله إلى قيصر

* عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره، أن هرقل أرسل إليه في رَكْب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام، فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفارَ قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيُّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ قال أبوسفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً. قال: أدنوه منى وقرِّبوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل، فإن كذَبني فكذِّبوه. قالَ فوالله لولا الحياء من أن يَأثروا عني كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألنيعنه أن قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القولَ منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه مَن ملَك؟ قلت: لا.

قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتدُّ أحدٌ منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه فى مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم يمكنيّ كلمةٌ أُدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم: قال. فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سِجَال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا

تشركـوا به شيئا واتركـوا ما يقول آباؤكم. ويأمـرنا بالصلاة والصِّدق والعـفَاف والصِّلة.

فقـال للترجـمان: قل له: سـألتك عن نسَبـه فزعمتَ أنه فـيكم ذو نَسب، وكذلك الرسل تُبْعث في نَسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القـولَ قبلهَ؟ فذكرتَ أن لا، فقلتُ: لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبله لقلت: رجلٌ يتأسَّى بقولٍ قِيل قبلَه.

وسألـتك: هل كان من آبائه من مَلَك؟ فـذكرتَ أن لا، فلو كـان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبْلَ أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أن لا، فقد أعْرف أنه لم يكن ليذَرَ الكذبَ على الناس ويكذبَ على الله!

وسألتك: أشـرافُ الناس اتبعوه أم ضـعفاؤهم؟ فـذكرت أنّ ضعـفاءهم اتَّبعوه، وهم اتباعُ الرُّسل.

وسـألتك: أيزيدون أم ينقـصـون؟ فذكـرت أنهم يزيدون، وكـذلك أمْـر الإيمان حتى يتمَّ.

وسألتك: أيرتدُّ أحـد منهم سخطةً لدينه بعـد أن يدخل فيه؟ فـذكرت أن لا. وكذلك الإيمانُ حين تخالط بشَاشتُه القلوبَ.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرتَ أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك:بم يـأمركم؟ فذكـرت أنه يأمركم أن تعـبدوا الله ولا تشـركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أنى أخْلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءه، ولو كنت عنده لغَسلتُ عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به مع دِحْية إلى عظيم بُصْرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تَسْلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليتَ فإن عليك إثمَ الأريسيّين و« يا أهل الكتاب تعالَوا إلى كلمةٍ سَوَاء بيننا وبينكم ألاَّ نعبدَ إلا الله ولا نُشركَ به شيئاً، ولا يَتخذَ بعضُنا بعضاً أَرْباباً من دون الله، فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مُسْلمون ».

قال أبوسفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثُر عنده الصَّخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة إنه يخافه مَلك بني الأصفر!

فما زلت مُوقناً أنه سيَظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلامَ.

قال: وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أُسْقِف على نصارى الشام يحدِّث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيثَ النفس، فقال بعضُ بطَارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حَزَّاءً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت حين نظرت فى النجوم مُلْك الختَان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمم؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود ولا يُهِمنك شأنُهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا مَن فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم أُتي هرقل برجل أَرسل به ملك غسَّان فخبَّرهم عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فأنظروا أمُخْتتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا مُلك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم.

وسار هرقل إلى حمص فلم يَرِمْ حِمْصَ حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيَ هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دَسكرة له بحمْص، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت. ثم اطَّلع فقال: يامعشرَ الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يَثْبت لكم مُلككم؟ فتُبايِعوا لهذا النبي.

فحاصوا حَيْصةَ حُمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت، فلما رأى هرقل نُفْرتهم وأيسَ من الإيمان قال: ردُّوهم عليَّ. وقال: إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم فقد رأيت.

فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل.

تخريج الحديث:

أخرجه مختصراً ومطولا كلٌّ من البخاري (١/ ٣١-٣٣ الفتح) ومسلم (١٧٧٣) وأبوداود (٥١٣٦) والترمذي (٢٧١٧) والنسائي في الكبرى كما في تحفه الأشراف (٤/ ١٥٩) وقال الترمذي: حسن صحيح.

غريب القصة:

- **مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش**: يعنى المدة التى كانت في صلح الحديبية.

- **أيلياء**: بيت المقدس.

- **لتجشَّمت لقاءه**: أى تكلفت الوصول إليه.

- **إثمَ الأريسِّين**: الأريسيون هم أهل الفلاحة، وقيل أهل المكس، والأول أظهر.

- **ابن أبى كبشة**: أى عظم أمر النبى ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض.

- **بطارقته**: أى قواده وخواص دولته وأهل الرأى والشورى منهم.

- **فلم يرم**: أى لم يبرح.

- **دسكرة**: الدسكرة القصر حوله البيوت.

- **فحاصوا حَيْصةَ حُمر الوحش**: أى نفروا كنفور حمر الوحش لأنها أشد الحيوانات نفرة قال تعالى: ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾.

الفوائد والعبر:

١- ملاطفة المكتوب إليه وتعظيمه وتلين القول له من قوله: "**إلى عظيم الروم**".

٢- جواز تصدير الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، وإن كان المبعوث إليه كافرا.

٣- السنة في المكاتبات أن يبدأ بنفسه فيقول: من فلان إلى فلان (قاله الشيخ قطب الدين).

٤ـ التوقى فى المكاتبة واستعمال عدم الإفراط.

٥ـ فيه دليل لمن قال بجواز معاملة الكفـار بالدراهم المنقوشة فيها اسم الله تعالى للضرورة.

٦ـ الوجوب بعمل خبر الواحد

٧ـ فيه حجة لمن منع أن يبتدأ الكافر بالسلام.

٨ـ استخدام أما بعد فى المكاتبة.

٩ـ فيه أن من أدراك من أهل الكتاب نبينا عليه السلام فآمن به فله أجران.

١٠ـ قال الخطابي: فى الخبر دليل على أن الـنهى عن المسافرة بالقرآن إلى أرض العدو إنما هو في حمل المصحف والسور الكثيرة دون الآية والآيتين ونحوهما.

١١ـ دعوة الكفار إلى الاسلام قبل قتالهم

١٢ـ فيـه دليل على أن ذا الحسب أولى بالتـقديم في أمـور المسلمين ومهـمات الدين والدنيا، ولذلك جعلت الخلفـاء من قريش أنه احوط من أن يدنسوا أحسابهم.

١٣ـ فيـه دليل لجمهـور الأصوليين أن للأمـر صيغـة معروفـة لأنه أتى بقول: "أعبدوا الله" في جواب ما يأمركم، وهو من أحسن الأدلة.

١٤ـ استحباب البلاغة والإيجاز وتحرى الألفاظ الجزلة فى المكاتبة.

١٥ـ جواز المسافرة إلى أرض الكفار، قلت: والمحققون يقيدون ذلك بالأمن من الفتنة، أو من أجل أمر مهم.

١٦- جواز البعث إليهم بالآية من القرآن ونحوها.

١٧- من كان سببا لضلالة أو منع هداية كان آثما.

١٨- إن الكذب مهجور وعيب في كل أمة، قال ابن حجر في الفتح (١/ ٣٥):
«وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب إما بالأخذ عن الشرع السابق أو بالعرف».

١٩- يجب الاحتراز عن العدو لأنه لا يؤمن أن يكذب على عدوه.

٢٠- إن الرسل لا ترسل إلا من اكرم الأنساب لأن من شرف نسبه كان أبعد من الانتحال لغير الحق.

٢١- البيان الواضح أن صدق رسول الله ﷺ وعلاماته كان معلوما لأهل الكتاب علما قطعيا، وإنما ترك الإيمان من تركه منهم عنادا أو حسدا أو خوفا على فوات مناصبهم فى الدنيا (انتهى مختصرا وبتصرف من عمدة القارى للعينى١/ ٩٩، ١٠٠).

٢٢- العبرة بالخواتيم.

٤٥- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

* عن جابر، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قِبَل الساحل وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة. قال جابر: وأنا فيهم.

فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزادُ فأمر أبوعبيدة بأزْواد ذلك الجيش فجمع كله، فكان مزُودى تمراً، فكان يقوتنا كلّ يوم قليلا قليلا حتى فنى ولم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة، قال: فقلت: وما تغنى تمرة؟ فقال: لقد وجَدْنا فَقْدَها حين فَنِيت!.

قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظرب قال: فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبوعبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلته فرحِّلت ثم مرَّ تحتها فلم يصبهما.

تخريج الحديث:

أخرجه مالك (٩٣٠) وأحمد (٣/ ٣٠٦) والبخاري (٥/ ١٢٨- ٨/ ٧٧ فتح) ومسلم (٣/ ١٥٣٧) والترمذى فى الزهد وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٢/ ٣٨٥) وابن ماجه فى الزهد.

غريب القصة:

- **قبل الساحل**: أى جهته.
- **يقوتنا**: أى يعطينا من القوت، والظاهر أنهم شركاء فى طعام مخصوص.
- **الظرب**: الجبل الصغير.
- **راحلته**: أى بعيره.

الفوائد والعبر:

١ـ تضحية الصحابة والجهاد في سبيل الله.

٢ـ إرسال الخلفاء والسرايا إلى أرض العدو والتأمير على السرية أوثق أهلها (قاله ابن عبد البر في التمهيد).

٣ـ الإمارة توحيد للرأى وإغلاق لباب الأختلاف.

٤ـ التخطيط والتنظيم من علامات الإدارة الناجحة.

٥ـ مشروعية خلط الزاد في السفر والشركة فيه.

٦ـ فضيلة الإيثار وذلك يظهر في تقديم كل واحد ما عنده من زاد، وفي هذا من البر والمواساة.

٧ـ المواساة واجبة بين المسلمين بعضهم على بعض إذا خيف على البعض التلف، فواجب أن يرمقه صاحبه بما يرد مهجته ويشاركه فيما بيده (قاله ابن عبد البر).

٨ـ حل أكل ميتات البحر.

١٠ـ عِظم مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

٤٦ـ إسلام والد أبي بكر الصديق رضى الله عنهما

* عن أسـماء بنت أبي بكر قـال: لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوًى قـال أبو قحافة لأبنة له من أصغر ولده: أى بُنية أظْهَري بي على أبى قُبَيس. قالت: وقد كُفَّ بصره. قالت: فأشرفتُ به عليه فـقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعا. قال: تلك الخيل. قـالت: وأرى رجلا يسعَى بين يدي ذلك السواد مُقْبلا ومـدبراً. قال: أي بنـية ذلك الوزاع ـ يعنـي الذي يأمر الخـيل ويتـقـدم إليهـا ـ ثم قالت: قدوالله انتشر السواد. فقال: قدوالله إذاً دَفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي.

فَانحطَّت به وتلقاه الخيل قبل أن يـصلَ إلى بيته. قالت: وفي عنق الجارية طَوق من وَرِق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها.

قـالت: فلمـا دخل رسـول الله ﷺ مكةَ ودخل المسـجـدَ أتى أبوبكر بأبيـه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: « هلاَّ تركتَ الشيخَ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟!» قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه.

قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسـح صدره ثم قال: «أسْلم». فأسلَم. قالت: ودخل به أبوبكر وكان رأسه كـالثَّـغَامة بيَاضاً. فقـال رسول الله ﷺ: «غيِّروا هذا من شعره».

ثم قام أبوبكر فأخذ بيد أختـه وقال: أنْشدُ الله والإسلامَ طَوقَ أختى؟ فلم يجبْه أحد قال: فقال: أى أُخيّة احتسبِي طوقَك، فوالله إنّ الأمانةَ فى الناس اليومَ لقَليلٌ!

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه ابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

غريب القصة:

ـ **ذي طوى**: موضع قرب مكة.

ـ **أبو قحافه**: والد أبي بكر عثمان بن عامر بن كعب التيمي.

ـ **أظهري بي**: أي اجعليني فوقه.

ـ **أبوقبيس**: جبل مشرف على مسجد مكة المكرمة

ـ **الوازع**: الذي يرتب الجيش ويسويه ويصفه ويترتب صف الخيل.

تخريج الحديث:

أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (٤/ ٤٨) ومن طريقه أحمد (٦/ ٣٤٩, ٣٥٠) وابن حبان (١٧٠٠ ـ موارد) والطبراني (٢٤/ ٨٨, ٨٩) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٩٥, ٩٦) والحاكم (٣/ ٤٦, ٤٧) قال حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده عن جدته أسماء.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٧٣، ١٧٤): رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

قلت: عدا ابن إسحاق فإنه صدوق مدلس، ولكنه صرح بالتحديث.

- ورق: الورق الفِضَّة.

الثغامة: هي شجرة بيضاءُ الثمر والزهر، وإذا يبست أشتد بياضها، والمعنى صار شعره كالثغام بياضاً.

الفوائد والعبر:

١- الاستعداد والتنظيم قبل الدخول في أي شيء كما وقف النبي ﷺ بذي طوى لترتيب الجند لفتح مكة.

٢- فيه أخذ الخبرة من كبار السس والاستعانة بهم في تعليم الشباب

٣- استعانه العاجز بالصحيح.

٤- التنظيم والاستماع للقيادة من علامات النصر في الجهاد.

٥- لايخلو جيل من بعض المخالفات، ووقوع البعض في المعاصي.

٦- مراعاه الرسول ﷺ لحال الكبار حتى لو كانوا كفارا.

٧- من البر إسداء الخير والدعوة للوالدين.

٨- من علامة الإيمان توقير الرسول ﷺ.

٩- تغيير الشيب أمر حسن ومندوب إليه، والتجمل من آداب الإسلام.

١٠- المؤمن معرض للابتلاء في كل شيء.

١١- على المؤمن احتساب الأجر عند المصيبة، والصبر عند الأذى.

١٢- الأمانة من معالي الأخلاق، والسلب والنهب من الرذائل، أما قوله. [إن

الأمانه فى الناس اليوم لقليل].

قال ابن كثير في السيرة النبوية (٣/٥٥٨): "يعني به الصديق ذلك اليوم على التعيين لأن الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحدٌ يلوي على أحد مع انتشار الناس، ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربي، والله أعلم".

قلت: وذلك أن الجيش في فتح مكة قد دخل فيه حديثو عهد بإسلام، فلا يستبعد أن يتلبس بعضهم في مثل ذلك، أو كما قال الحافظ: تأول أنه من حربي. والله أعلم.

قصص رائعة في عفو النبي ﷺ

(١)

٤٧ـ العفو عن عكرمة وعبدالله بن سعد بن أبي السرح

* عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة» وهم: عكْرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خَطل، ومقْيس بن صُبَابة، وعبدالله بن سعد ابن أبي سَرْح.

فأما عبد الله بن خَطل فأُدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستَبق إليه سعيد ابن حُرَيث وعمّار بن ياسر، فسبَق سعيدٌ عمَّارًا وكان أشبَّ الرجلين فقتله، وأما مقْيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكْرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفٌ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا. فقال عكرمة: والله لئن لم يُنْج في البحر إلا الإخلاصُ فإنه لا ينجي في البَرّ غيره! اللهم إنّ لك عليّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتيَ محمداً حتى أضعَ يدي في يده فلأ جدنه عَفُوّاً كريماً فجاء فأسلم.

وأما عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناسَ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبدَالله. فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا، كلُّ ذلكَ يأبى، فبايعه بعدَ ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أماَ كان فيكم رجلٌ رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كفَفْت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما يدرينا يارسول الله ما في نفسك، هلا أومأتَ إلينا بعينك؟ فقال: «إنه لا ينبغي أن يكون لنبيّ خائنة أعين».

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه الحاكم ووافقه الذهبي، والألباني.

وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

غريب القصة:

- **عكرمة بن أبي جهل**: المخزومي، فارس مشهور، لما قتل أبوه تحولت رئاسة بني مخزوم إليه، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ في الجاهلية، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه بالمرة، وله في قتال أهل الردّة أثر عظيم استعمله أبوبكر رضي الله عنه على جيش واستشهد بأجنادين وقيل يوم اليرموك،

تخريج الحديث:

أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٩١) وأبوداود (٤٣٥٩) والنسائي (٤٠٦٧) وأبويعلى (٢/ ٧٥٧) والبزار (١٨٢١ـ كشف) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٣٣٠) والحاكم (٣/ ٤٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٢, ٢٠٥, ٩/ ٢١٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٧٠, ٧١) من طريق أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد (فذكره).

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٦٨، ١٦٩): "رواه أبوداود وغيره باختصار ـ رواه أبويعلى والبزار ورجالهما ثقات".

وصححه العلامة الألباني في الصحيح (١٧٢٣) وقال: "اسباط بن نصر وأحمد بن المفضل قد تكلم فيهما بعض الأئمة من جهة حفظهما لكن الحديث له شاهد يتقوى به، يرويه نافع أبوغالب عن أنس.. أخرجه أبوداود (٣١٩٤) وأحمد (٣/ ١٥١) بسند حسن، فالحديث بهذا الشاهد صحيح إن شاء الله تعالى." أ.هـ.

وقيل يوم الصُّفرِّ.

(انظر ترجمته في السير ١/ ٣٢٣وأسد الغابة ٤/ ٧٠)

- **عبدالله بن خطل**: يقال أن اسـمه عبـد العزى بن خطل، ويحتـمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمِّي عبدالله، ولمّا أسلم بعـثه رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً وبعث معه رجلا من الأنصـار، وكان معه مولى له فغضب عليـه غضبةً فقتله، ثم ارتدَّ مشـركا، وكان له قينتان فَرْتَنى وصاحبتـها، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلهذا أهدَر دمه ودمَ قينتيه، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، اشترك في قتله أبوبرزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى. (ابن كثير ٣/ ٥٦٤).

- **مِقْيس بن صُبَابة**: قتل قاتل أخـيه خطأ بعد ما أخذ الدية، ثم ارتد مـشركا، قتله رجل من قومه يقال له نُميلة بن عبد الله (ابن كثير).

- **عبدالله بن سعد بن أبي سرح**: كان أخا عثمـان بن عفان من الرضاعة أسلم وكتب الوحيَ ثم ارتدَّ، فأهدر رسول الله ﷺ دمه، فلما فتح رسول الله مكة فر إلى عثمان يستجيـر به فأجاره النبي ﷺ، وحسن إسلامه؛ شهد فتح مصر وله مـواقف محمودة في الفتوح ولاه عـمر بعض أعماله، ثم أمره عثمان، وهو الذي فتح إفـريقية، مات وهو يصلي الصبح (الإصابة ٢/ ٣٠٩ - ابن كثير).

- **خائنة الأعين**: هو أن يضمـر في قلبه غيـر ما يظهره للناس فـإذا كف لسانه وأومأ بعينه إلى ذلك فقد خان وقد كـان ظهور تلك الخيانة من قبيل عينه فسميت خائنة الأعين. (الخطابي).

الفوائد والعبر:

١ـ فتح مكة نصر مبين للإسلام والمسلمين.

٢ـ إظهار أخلاق الرسول الكريم مثل السماحة والعفو عند المقدرة.

٣ـ غضب الرسـول عليه السـلام على النفر كـان لله تعالى، فـالرسول ﷺ لا يغضب إلا لله.

٤ـ المؤمن حريص على تنفيذ أوامر الله ورسوله.

٥ـ قتل أعداء الإسلام جهاد في سبيل الله.

٦ـ جواز العفو عن التائبين النادمين.

٧ـ النهي عن الاستبداد والمغالاة في الانتقام عند فتح البلدان.

٨ـ تقدير الرسول ﷺ لأصحابه.

٩ـ جواز الشفاعة في الخير.

١٠ـ لا ينبغي أن يكون لنبي خائنة أعين.

قصص رائعة في عفو النبي ﷺ
(٣)
٤٨- إجارة أم هانىء لرجلين وقبول الرسول ﷺ بذلك

* عن سعد بن أبي هند، أن أبا مُرَة مولى عَقيل حدَّثه أن أم هانىء بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتْهما، قالت: فدخل عليّ عليٌّ فقال: أقتلهما، فلما سمعته أتيت رسولَ الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فلما رآني رحّب وقال: «ماجاء بك» قلت: يانبى الله كنت أمنَّتُ رجلين من أحمائى فأراد عليٌّ قتلهما. فقال رسول الله: «قد أجَرْنا من أجرتِ يا أم هانىء » ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترَت عليه فاطمةُ، ثم أخذ ثوبا فالتحف به، ثم صلى ثماني ركعات سُبْحَة الضحى.

وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، فقال: « من هذه؟» قالت: أم هانىء. قال: «مرحباً بأم هانىء» قالت: يارسول الله زعم ابنُ أمِّي عليٌّ بن أبي طالب أنه قاتلٌ رجلين قد أجَرْتُهما؟ !فقال: « قد أجَرْنا من أجرتِ يا أم هانىء» قال صلي ثماني ركعات.

تخريج الحديث:

أخرجه مسلم (١/ ٤٩٨).

وأخرجه غير واحد بنحوه مختصراً ومطولا البخاري (١/ ٣٨٧،٤٦٩ـ ٦/ ٢٧٣ـ ١٠/ ٥٥١) والترمذي والنسائي في الكبرى كما في تحفه الأشراف (١٢/ ٤٥٨) وابن ماجه وغيرهم.

قلت: وأما الرواية الأخرى فرواها مسلم فى صحيحه.

غريب القصة:

ـ **أم هانىء بنت أبي طالب**: الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ، وأُخت علي بن أبي طالب، اختلف في اسمها والمشهور فاختة، أسلمت عام الفتح، فلما أسلمت وفتح رسول الله ﷺ مكة هرب زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى نجران (انظر ترجمتها في أسد الغابة ٧/ ٤٠٤ـ الإصابة ٤/ ٤٧٩).

ـ **أجارتهما**: أي طلبا منها الأمان، فأعطتهما الأمان من الضرر.

ـ **أحمائي**: إخوة زوجي.

الفوائد والعبر:

١ـ جواز إجارة المرأة لمن يستعين بها من الرجال.

٢ـ حرص عليّ رضى الله عنه على تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ.

٣ـ احتكام النساء للرسول الكريم والاهتداء برأيه.

٤ـ معرفة الرسول الكريم للنفوس البشرية وتصرفه بحكمة.

٥ـ حسن ترحيب الرسول الكريم بزائريه.

٦ـ منزلة فاطمة رضى الله عنها عند رسول الله وحبه لها.

٧ـ تقدير الرسول لأصحابه من الرجال والنساء والعفو عمن استجار بهم.

٨ـ وجوب الاستتار عند الاغتسال.

٩ـ خدمة الأبوين من منازل البر.

قصص رائعة في عفو النبي ﷺ
(٣)
٤٩- إعطاء الأمان لصفوان بن أمية وإمهاله

* عن عائشة قالت: خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يانبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمِّنه يا رسول الله صلى الله عليك. فقال: «هو آمن».

فقال: يارسول الله فأعطني آية يُعرف بها أمانَك. فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة.

فخرج بها عُمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تُهلكها، هذا أمانٌ من رسول الله ﷺ، وقد جئتك به. قال: ويلك أعزُب عني فلا تكلمني. قال: أيْ صفوان فداك أبي وأمي أفضلُ الناس وأبرّ الناس وأحْلم الناس وخير الناس، ابن عمك عزُّه عزك وشَرفه شرفك ومُلكه مُلكك. قال: إني أخافه على نفسي. قال: هو أحْلَم من ذلك وأكْرَم.

فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد امَّنتني؟ قال: «صدق» قال: فاجعلني بالخيار فيه شهرين. قال: «أنت بالخيار أربعة أشهر».

درجة الحديث:

حسن الإسناد.

غريب القصة:

- **صفوان بن أمية**: من سادات قريش، وأبوه أمية بن خلف قتل كافراً في غزوة بدر، كان من المؤلفه قلوبهم قال صفوان: "أعطاني رسول الله يوم حنين، وأنه لأبغض الناس إليّ، فمازال يعطيني حتى إنه لأحبَّ الناس إليّ". أسلم وحسن إسلامه، (انظر أسد الغابة ٣/ ٢٣ الإصابة ٢/ ١٨١).
- **جُدَّة**: بضم المعجمة ساحل مكة.
- **عمير بن وهب**: أبوأمية الجُمَحي كان له قدر وشرف في قريش؛ ابن عم صفوان بن أمية، وكان من أبطال قريش وشياطينهم، وهو الذى مشى حول المسلمين ليعرف عددهم يوم بدر، فلما انهزم المشركون كان عمير فيمن نجا، وأُسر ابنه وهب بن عمير يومئذ،ثم أسلم عمير وحسن إسلامه، وله قصة في ذلك تقدمت برقم (٢١) مع صفوان بن أمية؛ عاش عمير إلى خلافه عمر رضى الله عنهما (انظر أسد الغابة ٤/ ٣٠٠ الإصابة ٣/ ٣٦).

تخريج الحديث:

أخرجه ابن إسحاق كما في البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٥٨٤) قال محمد بن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة.

وهذا سند حسن؛ ابن إسحاق صدوق يدلس، ولكنه صرح بالتحديث.

الفوائد والعبر:

١ـ أرسل الله تعالى الرسل رحمة للعالمين.

٢ـ العفو عند المقدرة.

٣ـ اتخاذ الأدلة والبراهين إظهاراً للحقيقة دليل على صدق القائل.

٤ـ حرص الرسـول الكريم على اتخاذ الوسـائل السليمـة، ونبذ العنف أسـاساً لنشر دعوته.

٥ـ حرص الرسول الكريم على دخول الناس في الإسلام.

٦ـ اطمئنان الناس إلى حلم الرسول وكرم أخلاقه.

٧ـ جواز العارية والأستعارة.

٨ـ من الإحسان والبر الحرص على دعوة الا رباء وذوى الأرحام.

٩ـ حرية الرأى والاختيار مكفولة في الإسلام بما لا يضر الدين.

٥٠- غزوة هوازن يوم حنين

* قال ابن إسحاق: ولما سمعت هَوازنُ برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جَمعها ملكُها مالك بن عوف النصْري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف، كلها واجتمعت نصر وجُشَم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قَيْس عَيْلان إلا هؤلاء. وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرِّباً، وفي ثَقيف سيِّدان لهم؛ وفي الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود بن مُعتِّب، وفي بني مالك ذو الخِمَار سُبَيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث، وجِماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْري.

فلما أجْمَع المسيرَ إلى رسول الله ﷺ أحضَر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيد بن الصِّمة في شجَار له يُقاد به، فلما نزل قال: بأيِّ واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعْم مَجالُ الخيل لاحَزْن ضرْس ولاسَهل دَهْس، مالي أسمع رُغاَء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعاَر الشاء؟ قالوا: ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قالوا: هذا مالك. ودُعي له.

قال: يامالك إنك قد أصبحتَ رئيس قومك وإنّ هذا يومٌ كائن له بعدَه من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعَار الشاء؟ قال: سُقت مع الناس أبناءهم وأموالهم. قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل

خلف كلِّ رجل أهلهَ وماله ليقاتل عنهم.

قال: فأنقضَّ به، ثم قال: راعي ضأن والله! هل يردُّ المنهزمَ شيء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك.

ثم قال: ما فعلتْ كعبٌ وكلاب؟ قال: لم يشهدها منهم أحد. قال: غاب الحدُّ والجدّ لو كان يومَ عَلاء ورفعة لم تَغبْ عنه كعبٌ وكلاب، ولوددْت أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر. قال: ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولايضران. ثم قال: يامالك إنك لم تصنع بتقديم البَيْضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً.

ثم قال دُرَيد لمالك بن عوف: ارفعهم إلى مُتَمنّع بلادهم وعَلْياء قومهم ثم القَ الصُّبّاء على متون الخيل، فإن كانت لك لحقَ بك مَن وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزتَ أهلك ومالك.

قال: والله لا أفعل، إنك قد كَبِرت وكَبر عقلُك! ثم قال مالك: والله لَتطيعُنَّني يا معشر هَوازن أو لأتكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكونَ لدُرَيد فيها ذكرٌ أو رأيٌ. فقالوا: أطعناك.

فقال دريد: هذا يومٌ لم أشهده ولم يفُتْني:

يا ليتني فيها جَذَعْ أخبُّ فيها وأضَع
أقود وَطْفاء الزمَعْ كأنها شاةٌ صدَع

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فأكسروا جُفونَ سيوفكم ثم شُدوا شَدَةَ رجلٍ واحد.

* عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال يومَ حنين حين رأى من الناس ما رأى: « يا عباس نادِ: يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة» فأجابوه: لبَّيك لبيك. فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيرَه فلا يقدر على ذلك فيقذف درعَه عن عنقه ويأخذ سيفه وتُرْسه ثم يَؤُمُّ الصوتَ، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناسُ فاقتتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جُعلت آخراً للخزرج، وكانوا صُبراً عند الحرب، وأشرفَ رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم فقال: « الآن حميَ الوطيسُ».

قال: فوالله ماراجعه الناسُ إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتَّفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالَهم وأبناءهم.

* عن العباس بن عبد المطلب قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ يومَ حنين فلزمتُه أنا وأبوسفيان بن الحارث لا نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغله بيضاء أهداها له فَرْوة بن نُفَاثة الجذَامي، فلما التقى الناس ولَّى المسلمون مُدْبرين، فطفق رسول الله ﷺ يُرْكض بغلتَه قِبَل الكفار، قال العباس: وأنا آخذٌ بلجامها أكفُّها إرادةً ألا تسرع، وأبوسفيان آخذٌ بِركَاب رسول الله ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ: «أيْ عباس، ناد أصحابَ السَّمُرة» قال: فوالله لكأنما عطَفَتُهم حين سمعوا صوتي عَطفةَ البقر على أولادها! فقالوا: ياَلبَّيكاه ياَلبَيكاه!

قال: فاقتتلوا هم والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار. ثم قُصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يابني الحارث ابن الخزرج.

فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال: «هذا حين حَمِيَ الوطيسُ» ثم أخذ حَصيات فرمى بهن في وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا وربِّ محمد» قال: فذهبتُ أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلى أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً، وأمرَهم مُدْبراً.

غريب القصة:

- **يا أصحاب الشجرة**: أى شجرة بيعة الرضوان.
- **مجتلد القوم**: موضع جلادهم وقتالهم.
- **حمى الوَطيس**: الوطيس يعني التنور أي أن الحرب اشتدت حرارتها كما تشتد حرارة التنور.

تخريج الحديث:

حديث جابر أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٢٩/٥) من طريق محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر عن عبدالرحمن بن جابر عن أبيه جابر (فذكره).

وهذا سند حسن، ابن إسحاق مدلس، ولكنه صرح بالتحديث.

حديث العباس أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٣٧٩/٥، ٣٨٠) وابن سعد في الطبقات (١٥٥/٢) وأحمد (٢٠٧/١) والحميدي (٤٥٩) ومسلم (١٧٧٥) والنسائي في الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٢٦٩/٤) والحاكم (٣٢٧/٣، ٣٢٨) وصححه البيهقي في الدلائل (١٣٧/٥ـ١٣٩) من طريق الزهري عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه (فذكره).

- **فَرْوَة بن نُفَاثَة**: من بني الدُّول، من بكر بن وائل ملك جاهلي.
- **يركضُ بغلة**: أي يضربها برجله.
- **السَّمُرة**: السمر شجـر معروف في الجزيرة العربية، وهذه الشجـرة بايع تحتها الصحابة رسول الله بيعة الرضوان على الموت يوم الحديبية.
- **كَليلا**: أي ضعيفاً.

الفوائد والعبر:

١ـ الاسفادة بأهل الخبرة والتيمن بآرائهم من عادات العرب القديمة.

٢ـ اسـتعـداد المشركين بكل مـا يملكون من مـال وخطط دليل حقـد وكراهيـة للإسلام والمسلمين.

٣ـ الانتحار وإزهاق الروح لا يفعله إلا الكافرون.

٤ـ للأنصار وأصحاب بيعة الرضوان مكانة ومنزلة عند رسول الله ﷺ.

٥ـ المؤمن يصبر حين البأس في أرض القتال.

٦ـ وجوب وجود القائد بين جنده وفي مقدمتـهم قدوة لهم في التضحية، وحثاً لهم على القتال ودافعاً لهم للاستشهاد.

٧ـ شجاعة ورباطة جأش الرسول الكريم في مواجهة الأعداء.

٨ـ نصر الله تعالى لرسوله الكريم والمسلمين.

٩- الإيجـار في الخطاب دليل بلاغة المتـحدث؛ قـوله: (حمى الوطيـس) كلام موجز لم يسبق إليه ﷺ، وكم له من هذه الكلمات الموجزة البديعة[١].

١٠- فيه مـعجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ احـدهما فعلية، والأخـرى خبرية فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين، وذكر مسلم في الرواية الأخرى أنه ﷺ قبض قـبضة من تراب من الأرض ثم استـقبل بها وجوههم فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، وهذا أيضاً فيه معجزتان خبرية وفعلية (النووي ١٢/١١٦).

١١- جواز التـعرض إلى الهلاك في سـبيل الله ولايقـال كان النبي ﷺ متـيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق، لأن أبا سـفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذاً بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي ﷺ.

١٢- فيـه ركوب الـبغلة إشـارة إلى مزيد الثـبات، لأن ركـوب الفحـولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كـان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار، وأخذ بأسباب ذلك كان أدعى لأتباعه على الثبات.

١٣- فيه من شـهرة الرئيس نفسه في الحرب مـبالغة في الشجاعـة وعدم المبالاة بالعدو[٢].

---

(١) انظر كـتاب الإشارة إلى سـيرة المصطفى (٢٠٢) للـحافظ مُغلَـطَاي، والأمثال لأبي الـشيخ (٢٥٩).

(٢) الفوائد من (١١- ١٣) من الفتح ٨/ ٣٢ للحافظ ابن حجر.

٥١- استرضاء الرسول ﷺ للأنصار

* عن أبي سعيد الخدري قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين، وقسَم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، وجد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي والله رسولُ الله قومَه! فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجَدوا عليك في أنفسهم. فقال: «فيم؟» قال: فيما كان من قَسْمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء. فقال رسول الله ﷺ: «فأين أنت من ذلك ياسعد؟» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي. قال: فقال رسول الله ﷺ : «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمني» فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذِن له فدخلوا، وجاء آخرون فردهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم.

فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله [بي]، وعالةً فأغناكم الله [بي]، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى. ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟» قالوا: وما نقول يارسول الله وبماذا نجيبك؟ المنُّ لله ولرسوله. قال: «والله لو شئتم لقلتم فصدَقتم وصُدِّقْتُم: جئتنا طريدًا فآويناك، وعائلا فآسيناك، وخائفًا فأمَّناك، ومخذولا فنصرناك» فقالوا: المنُّ لله ولرسوله.

فقال رسول الله ﷺ: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قومًا أسلموا ووَكلتُكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سَلكوا شِعْبًا وسلكت الأنصار شعبَ لسلكتُ شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، [الأنصار شعار والناس دثار] اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أخضَلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله ربًا ورسوله قَسْمًا. ثم انصرف وتفرقوا.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٣/ ٧٦, ٧٧) من طريق محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد به.

قال ابن كثير: رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٩, ٣٠) "ورجال الرواية الأولى لأحمد رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع، وعن أبي هريرة وأبي سعيد نحو ما تقدم باختصار رواه أحمد ورجالهما رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع".

قلت: وفي الباب عن عبدالله بن زيد أخرجه البخاري (٨/ ٤٧ الفتح) ومسلم (١٠٦١)، وما بين المعقوفتين [ ] زيادة من البخاري.

درجة الحديث عند أهل العلم:

صححه الحافظ ابن كثير.

غريب القصة:

- **عالة**: أي فقراء.
- **أوجدتم**: من الموجدة يعني الغضب.
- **لعاعة**: اللُعاعة بضم اللام النبات الضعيف، والمراد الشيء اليسير.
- **تألفت بها قوما**: أي أعطيتم ترغيبا في الإسلام، قال ابن حجر: "المراد بالمؤلفة ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاما ضعيفا، وقيل كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بن أمية وقد اختلف في المراد بالمؤلفة قلوبهم الذين هم أحد المستحقين للزكاة فقيل كفار يعطون ترغيبا في الإسلام، وقيل مسلمون لهم أتباع كفار ليتألفوهم، وقيل مسلمون أول دخلوا في الإسلام ليتمكن الإسلام من قلوبهم.." (الفتح ٨/٤٨).
- **الشعب**: الطريق في الجبل أو بين الجبلين.
- **اخضلوا**: أي بللوا بالدموع لحاهم.

الفوائد والعبر:

١- إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه.

٢- حسن أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم.

٣- مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق.

٤- المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة الحجة من عليه، والاعتذار والاعتراف.

٥- من دلائل النبوة.

٦- إن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض في مصارف الفيء، وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك.

٧- مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصا أم عاما.

٨- تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة على الدنيا، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى.

٩- إن المنة لله ورسوله على الاطلاق.

١٠- تقديم جانب الآخرة على الدنيا.

١١- الصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى[(١)].

(١) انظر فتح الباري (٨/ ٥٢) للحافظ ابن حجر.

١٢- على الداعية التصدي للمشكلة سريعًا وإلا استفحل أمرها واتسع الخرق عليه.

١٣- لابد للخطيب من مقدمة مثيرة يجعلها منطلقا لموضوعه.

١٤- إن من يبتغي هدفا لابد أن يهيئ النفوس والقلوب لقبول الحق، كما أنه ينبغي أن يوضح أنه يحب الخير لهم.

١٥- متاع الدنيا تافه يسير لا ينبغي أن يكون موضع التزاحم والتخاصم.

١٦- كثرة العطاء ليست دليلا على علو الشأن بل على العكس دليل على عدم الثقة في إيمان معطاها.

١٧- من سمات الخطبة الناجحة:

أ- تخصيص الخطاب لكل سامع بحيث يشعر السامع بأنه معنيٌّ بهذا الكلام بصفة خاصة.

ب- تكرار توجيه السؤال إلى المخاطبين ليحقق أهدافا كثيرة.

* منها أن المسؤول دائمًا في موقف أضعف من موقف السائل وضعف موقف المسؤول في ظروف الخطابة يهيء نفسه للاستجابة.

* ومنها إيقاظ عقول السامعين لتلقي الإجابة ووعي كلامه.

* على الخطيب أن لا يعتمد أسلوب التعارض والعداء مع المخاطبين، وإنما الحكمة أن يستجلب عواطفهم.

* الشمول والاستيعاب.

* الإقناع وقوة الحجة.

* الإيجاز.
* تحديد العناصر.
* تجسيد المعاني وذلك عندما جسد الغنائم بأنها "لعاعة من الدنيا" واللعاعة نبات ضعيف صغير، وكذلك المقاربة بين نصيب الأنصار وغيرهم من سائر الناس، وكذلك ميله للأنصار وإيثاره لصحبتهم على صحبة سائر الناس من خلال تجسيد سير الأنصار من طريق والناس جميعًا من طريق آخر.
* استخدام الأساليب البلاغية [1].

(١) الفوائد من (١٢-١٧) تلخيصا من مجلة البحوث الإسلامية (م٧/ عدد الأول ١٤٩-١٦١) د. حسن جاد.

٥٢- قصة كعب بن مالك وتخلفه عن تبوك

* عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب ابن مالك ـ وكان قائد كعب من بَنيه حين عَمى ـ قال: سمعت كعب بن مالك يحدِّث حين تخلَّف عَن قصة تبوك، قال كعب:

لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عيَر قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثَقنا على الإسلام وما أحبُّ أن لي بها مَشْهد بدر، وإن كانت بدر أذْكَرَ في الناس منها.

كان من خبري أني لم أكن قط أقْوَى ولا أيسرَ حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعتْ عندى قبله راحلتان قط حتى جمَعتهما في تلك الغزاة، ولم يكن رسول الله يريد غزوةً إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حَر شديد واستقبل سفرا بعيداً وعددا كثيرا فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبَة غَزْوهم، فأخبرهم بوَجْهه الذى يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاَب حافظ ـ يريد الديوان ـ.

قال كعب: فما رجلٌ يريد أن يتغَيب إلا ظن أن سيَخْفي له ما لم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمارُ والظلال.

وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجعُ ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه. فلم يزل يتمادى بي

حتى اشتد بالناس الجِدُّ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت: أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم. فغدوت بعد أن فَصَلوا لأتجهَّز فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا. فلم يزل بي حتى أسرعوا وتَفارَط الغَزْو، وهممتُ أن أرتحل فأُدركهم - وليتني فعلت - فلم يقدَّر لي ذلك.

فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم أحزَنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلا ممن عذَر الله من الضعفاء.

ولم يَذْكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يارسول الله حبَسه بُرْداه ونظرُه في عطفَيَه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يارسول الله ما عَلمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجَّه قافلاً حضَرني همِّي، وطفقت أتذكَّر الكَذبَ وأقول: بماذا أخرج غداً من سخطه؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاح عني الباطلُ، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعتُ صدْقَه.

وأصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان إذا قدم من سَفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ عَلانيتهم وبايَعهم واستغفر لهم، ووكَل سَرائرهم إلى الله عزوجل.

فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسُّم المغْضَب ثم قال: «تعال» فجئت

أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: « ماخلّفك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظَهرك؟» فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنْ سأخرج من سخطه بعذر ـ ولقد أُعطيتُ جَدلاً ـ ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذب ترضى به عنى لَيوشكن الله أن يُسْخطك عليَّ، ولئن حدَّثتك حديث صدْق تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنك.

فقال رسول الله ﷺ: «أمّا هذا فقد صدَق، فقم حتى يقضي الله فيك».

فقمت فثار رجال من بني سلمة فأتبعوني فقالوا لي: والله ما عَلمناك كنت أذنبت ذنبا قبلَ هذا، ولقد عجزتَ ألا تكون أعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلّفون؟ وقد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك. فوالله مازالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذِّب نفسي.

ثم قلت لهم: هل لقى هذا معي أحدا؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثلَ ماقلت وقيل لهما مثلُ ماقيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا: مَرارة بن الربيع العَمْري وهلال بن أمية الواقفيّ فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لى. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلَّف.

فاجتنَبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكَّرتْ في نفسي الأرض فما هي التى أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجْلَدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة،

وأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظرَ، فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبل إليَّ، وأذا ألتفتُّ نحوه أعرضَ عني.

حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفوة الناس مشيتُ حتى تسوَّرت جدار حائط أبى قَتادة ـ وهو ابن عمى وأحب الناس إليَّ ـ فسلمت عليه، فوالله ماردَّ عليَّ السلام، فقلت: ياأبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أُحبُّ الله ورسوله؟ فسكتَ. فُعدْت له فنَشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسوَّرتُ الجدار.

قال: وبَيْنا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابا من ملك غَسَّان في سَرَقة من حرير فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلَغني أن صاحبك قد جَفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضْيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء! فتيمَّمْتُ بها التَّنور فسَجرتْه بها.

فأقمنا على ذلك، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله ﷺ يأتيني فقال: رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تَقْربها. وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله فى هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: « لا ولكن لا يَقربك » قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله مازال يبكي منذ كان من أمره إلى يومه هذا. فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذنتَ رسولَ الله فى

امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدُمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله، وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شابٌّ.

قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهىَ رسول الله عن كلامنا. فلما صليت الفجر صبحَ خمسين ليلة وأنا على ظَهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عزوجل، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت على الأرضُ بما رَحُبت سمعتُ صوت صارخ أوْفَى على جبل سَلْع بأعلى صوته: ياكعب أبْشر.

فخرَرْت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرجٌ، وآذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشِّروننا، وذهب قِبَل صاحبي مبشِّرون، وركض رجل إليَّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسْلم فأوفَى على الجبل، فكان الصوت أسرعَ من الفرس.

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ! واستعرتُ ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقَّاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة يقولون: لِيَهْنَك توبةُ الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يَبْرق وجهه من السرور: «أبْشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك». قال: قلت: أمِن عندك يارسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يارسول الله إن

من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله: «أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يارسول الله إن الله إنما نجاني بالصِّدق، وإن من توبتي ألا أتحدث إلا صدْقاً مابقيتُ. فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكَرتُ ذلك لرسول الله أحسن مما أبلاني، ماتعمَّدْتُ منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله ﷺ: « لقد تابَ الله على النبيِّ والمهاجرين والأنصار» إلى قوله: «وكونوا مع الصادقين» فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدْقي رسولَ الله ﷺ، أن أكونَ كذَبته فأهْلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كَذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قاله لأحد، قال الله تعالى: «سيحْلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرضوا عنهم» إلى قوله «فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين».

قال كعب. وكنا تخلَّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسولُ الله أمرَنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تعالى. ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴾ ليس الذى ذَكر الله مما خُلِّفنا من الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمْرَنا عمن حَلف له وأعتذر إليه فقبِل منهم.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥، ٤٥٦ـ ٤٦٠) والبخاري (٨/ ١١٣-١١٦ الفتح) وفي مواطن أخرى من صحيحه، ومسلم (٢٧٦٩) وأبو داود (٢٢٠٢) والنسائي في المجتبى (٧٣١، ٣٤٢١، ٣٤٢٢، ٣٤٢٤-٣٤٢٦, ٣٨٢٣-٣٨٢٦) والكبرى كما في تحفة الأشراف (٨/ ٣٢١).

غريب القصة:

- **ورى بغيرها**: أي أوهم غيرها.
- **تفارط الغزو**: أي فات وسبق.
- **فثار رجال**: أي وثبوا.
- **نبطى من أنباط أهل الشام**: أي من أهل الفلاحة، وهم الذين يستنبطون الماء ويستخرجونه.
- **فتيممت بها التنور فسجرته بها**: أي قصدت بها التنور وأحرقتها به.

الفوائد والعبر:

١- جواز طلب أموال الكفار من ذوى الحرب.

٢- جواز الغزو في الشهر الحرام، والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره.

٣- إن الإمام إذا استنفر الجيش عموما لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد لو تخلف، وقال السهيلي: إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا   علي الجهاد ما بقينا أبدا

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم، كذا قال ابن بطال. قال السهيلي: ولا أعرف له وجها غير الذي قال. قلت: وقد ذكرت وجها غير الذي ذكره ولعله أقعد، ويؤيده قوله تعالى: "ماكان لأهل المدينة

ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسـول الله"الآية. وعند الشافعية وجه أن الجـهاد كـان فرض عين في زمن النـبي ﷺ، فعلى هذا فـيتـوجه العتاب على من تخلف مطلقا.

٤ـ إن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة.

٥ـ ترك قتل المنافـقين، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهـر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك كان في زمن النبي ﷺ لمصلحة التأليف على الإسلام.

٦ـ عظم أمر المعصيـة، وقد نبه الحسن البصرى على ذلك فيـما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: ياسبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراما ولاسفكوا دما حراما ولا أفسدوا فى الأرض، أصابهم مـا سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟.

٧ـ إن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين.

٨ـ جواز إخبار مـدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة، وتسلـية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره.

٩ـ فضل أهل بدر والعقبة.

١٠ـ الحلف للتأكيد من غير استحلاف.

١١ـ التورية عن المقصد.

١٢ـ رد الغيبة.

١٣ـ جواز ترك وطء الزوجة مدة.

١٤- إن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها كما قال تعالى: "استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" ومثله قوله تعالى: "ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة" ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته.

١٥- جواز تمني ما فات من الخير.

١٦- إن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة.

١٧- جواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن عن حمية لله ورسوله.

١٨- جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد وهم الطاعن أو غلطه.

١٩- المستحب للقادم أن يكون على وضوء، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه.

٢٠- الحكم بالظاهر.

٢١- قبول المعاذير واستحباب بكاء العاصي أسفا ما فاته من الخير.

٢٢- إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى.

٢٣- ترك السلام على من أذنب، وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأما النهى عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعيا.

٢٤- إن التبسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ولا يختص بالسرور.

٢٥- معاتبه الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره.

٢٦ـ فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب.

٢٧ـ العمل بمفهوم اللقب إذا حفته قرينة لقوله ﷺ لما حدثه كعب: "أما هذا فقد صدق" فإنه يشعر بأن من سواه كذب، لكن ليس على عمومه في حق كل أحد سواه، لأن مرارة وهلال أيضا قد صدقا، فيختص الكذب بمن حلف واعتذر، لا بمن اعترف، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذى ظهرت فائدته عن قرب، وأخر من كذب للعقاب الطويل.

٢٨ـ تبريد حر المصيبة بالتأسي بالنظير.

٢٩ـ عظم مقدار الصدق في القول والفعل، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، وأن من عوقب بالهجر يعذر في التخلف عن صلاة الجماعة لأن مرارة وهلالا لم يخرجا من بيوتهما تلك المدة.

٣٠ـ سقوط رد السلام على المهجور عمن سلم عليه إذ لو كان واجبا لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السلام.

٣١ـ جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه.

٣٢ـ قول المرء: "الله ورسوله أعلم" ليس بخطاب ولا كلام ولا يحنث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم ينوبه مكالمته وإنما قال أبو قتادة ذلك لما ألح عليه كعب، وإلا فقد تقدم أن رسول ملك غسان لما سأل عن كعب جعل الناس يشيرون له إلى كعب ولا يتكلمون بقولهم مثلا هذا كعب مبالغة في هجره والإعراض عنه.

٣٣ـ إن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها.

٣٤ـ إيثار طاعة الرسول على مودة القريب.

٣٥ـ خدمة المرأة زوجها، والاحتياط لمجانبة ما يخشى الوقوع فيه.

٣٦ـ مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذى يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل.

٣٧ـ اجتماع الناس عند الإمام فى الأمور المهمة، وسروره بما يسر أتباعه.

٣٨ـ مشروعية العارية.

٣٩ـ مصالحة القادم والقيام له.

٤٠ـ التزام المداومة على الخير الذى ينتفع به.

٤١ـ استحباب الصدقة عند التوبة، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه [1].

(١) هذه الفوائد من فتح الباري (٨/ ١٢٣، ١٢٤) للحافظ ابن حجر. وقد أفاد بعضها من زاد المعاد للعلامة ابن القيم (٣/ ٥٧٣ـ٥٩٣) قلت ولو نقلنا نفائس ابن القيم رحمه الله وتعقباته لصار هذا الفصل كتاب في مجلد، فانظرها غير مأمور ففيها البغيه والمراد.

٥٣- إسلام ثُمامة بن أثال

* عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمَامَة بن أُثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ: «ما عندك ياثمامة» ؟ قال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنْعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فَسلْ منه ماشئت.

فتركه حتى كان الغد ثم قال له: «ماعندك يا ثمامة»؟ فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنْعم تنعم على شاكر، فتركه حتى بعد الغد فقال: «ما عندك ياثُمامَة» ؟ فقال: عندي ما قلت لك. فقال: «أطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليَ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان دينٌ أبغض إليَّ من دينك فأصبح دينُك أحبَّ الدِّين إليّ، والله ماكان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد إليَ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوتَ؟ قال: لا ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يَأذَن فيها النبيُّ ﷺ.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦، ٢٤٧، ٣٠٤، ٤٨٣، ٤٥٢) والبخاري (٨/ ٨٧ الفتح) ومسلم (١٧٦٤) وأبوداود (٢٦٧٩) والنسائي (١٨٩) من طرق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة.

غريب القصة:

- **بعث خيلا**: أي فرسان خيل.
- **بنو حنيفة**: قبيلة مشهورة بين مكة واليمن.
- **ما عندك**: أي أيُّ شيء عندك؟ وماذا استقر في ظنك أن أفعله بك؟
- **عندي خير**: أي لأنك لست ممن يظلم بل يحسن وينعم ويعفو.
- **إن تقتلني تقتل ذا دم**: قال القاضي عياض (١٢/٨٨ نووي): معناه إن تقتل تقتل صاحب دم أي صاحب دم لدمه موقع يشتفى بقتله قاتله ويدرك قاتله به ثأره أي لرياسته وفضيلته وحذف هذا لأنهم يفهمونه في عرفهم، وقال آخرون معناه تقتل من عليه دم ومطلوب به وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله" قلت: والاحتمال الثاني هو اختيار القسطلاني (٦/٤٣٣).
- **صبوت**: أي خرجت من دين إلى دين.

الفوائد والعبر:

١ـ ربط الكافر في المسجد.

٢ـ المن على الأسير الكافر.

٣ـ تعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل.

٤ـ الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثيب الحب.

٥ـ إن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير.

٦ـ الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان فى ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه.

٧ـ بعث السرايا إلى بلاد الكفار، وأسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه (الفوائد من الفتح ٨/ ٨٨، ٨٩).

الموضوعات والمحتويات